الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم: التاريخ

مالك بن نبي مسيرته وعطاؤه الفكري1905-1973

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالب:

فاتح مبارك عزام

لجنة المناقشة:

د/إسماعيل تاحي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
د/يمينة بن رحال	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا
د/أمال معوشي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 2018 –2019م/ 1439–1440هـ

آية الكرسي سورة البقرة آية ٢٥٥

شكر وتقدير

أولا أحمد الله وأشكره، وثانيا لابد من الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم، فإنني أعرب عن شكري وإمتناني، وخالص تقديري لأستاذتي الفاضلة يمينة بن رحال فجزاها الله خيرا، وحفظها ورعاها، حيث تابعت خطوات هذا العمل وأمدتني بتوجيهاتها ونصائحها العلمية السديدة التي كانت لي نورا على الطريق في إنجاز هذا العمل العلمي.

كما لا يسعني أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر إلى الذين استفدت منهم في إعداد هذا البحث، ووقفوا إلى جانبي، لكل من تفضل بتقديم النصح والإرشاد واخص بالذكر الزوجة الكريمة فجزاها الله خيرا وحفظها لي.

فاتح مبارك عزام

إهداء :

الحمد لله والصلاة على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أهدي هذا العمل إلى والدي حفظهما الله عز وجل وجزاهما عني خير الجزاء.

إلى زوجتي الكريمة قرة عيني حفظها الله ورعاها.

إلى روح مفكرنا مالك بن نبي – رحمه الله – وعائلته.

إلى كل أقاربي أطال الله عمر الأحياء في طاعته، وتغمد الأموات بواسع رحمته.

إلى كل من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح.

إلى أساتذتنا الكرام وخاصة أستاذتي المشرفة يمينة بن رحال.

ومسك الختام إلى العلماء ورثة الأنبياء إلى حماة الوطن والدين من الشهداء والمجاهدين إلى جميع المسلمين.

فاتح مبارك عزام

مـــــــقدمة

مقدمة:

في الوقت الذي تعاني فيه الجزائر مشاكل سياسية واقتصادية على غرار العالم العربي والإسلامي الذي يعاني نفس المشكلات، نحتاج إلى فكر كفكر العبقري مالك بن نبي لأن ما تعانيه الجزائر خاصة والعالم العربي والإسلامي عامة هو معاناة حضارية. فالتخطيط الحضاري هو ما نحتاجه في وقتنا لتجاوز هذه الأوضاع، وفي عصرنا الحديث لا يزكى أحد على المفكر مالك بن نبي وأعماله في هذا المجال، إذ استطاع بفكره السابق لعصره التنبؤ بالأوضاع السائدة بعد استقلال الجزائر ووضع يده على المشاكل والحلول في الوقت ذاته.

أهمية الموضوع:

لذا تكمن أهمية هذا الموضوع في الوصول إلى المغزى الحقيقي لأفكار مالك بن نبي في شأن الحضارة، لأنها تعتبر أهم محاوره، ومحاولة تطبيقها بالشكل الذي يفيد الجزائر خاصة والأمة العربية والإسلامية عامة بل يتعداه إلى الإنسانية كافة لأن أفكار مالك بن نبي تخطت العالمين العربي والإسلامي إلى العالمية بنجاعتها.

أسباب اختيار الموضوع:

لاختياري هذا الموضوع سبب شخصي، وهو الإعجاب بشخصية المفكر الفذة وطريقة تكوينها وأسباب موضوعية وهي كما سبق ذكره الظروف المحيطة التي تعيشها البلاد والوطن العربي والإسلامي عموما وما لأفكار هذا المفكر من قدرة على تجاوزها، كما يرجع إختيار الموضوع إلى محاولة محو التقصير تجاه هذه الشخصية النابغة حيث يعتبر مالك بن نبي مجهولا في وطنه ولم يعط حقه بعد من التعريف والاهتمام به وبأفكاره وتجسيدها على أرض الواقع.

إشكالية البحث:

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا البحث حول التعريف بمالك بن نبي و نشأته كمفكر. و تتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية عدة إشكاليات فرعية وهي كالتالي: ما هي مرجعيته الفكرية و أهم المؤثرات في فكره؟ ما هي أهم مؤلفاته و ما تعالجه؟ إضافة إلى ما يميز هذه المؤلفات و السمة البارزة فيها؟ وما هي المكانة التي يحتلها مالك بن نبي في الوسط الفكري؟

منهج الدراسة:

لمعالجة الإشكالية المذكورة اعتمدت على المنهج البيبليوغرافي الذي يتناسب وسرد الوقائع، وكذا المنهج التاريخي التحليلي لتحليل الأفكار خاصة فيما يخص الفصل الثاني من البحث.

صعوبات البحث:

رغم توفر المادة العلمية حول شخصية مالك بن نبي إلا أنه من الصعوبة جمعها في بحث واحد صغير الحجم مقارنة بمكانة ومنزلة المفكر وقيمتها، إضافة إلى صعوبة تحليل الأفكار على اعتبار أن شخصية كمالك بن نبي ليس من السهل فهم فكرها الراقي والمتشعب.

خطة الموضوع:

وللإلمام بمختلف جوانب الموضوع رأيت هيكلته بخطة ثنائية قسمتها إلى فصلين، الأول بعنوان أضواء على شخصية مالك بن نبي ويضم مبحثين، الأول بعنوان المولد والنشأة وهو بدوره قسم إلى مطلبين، الأول: المولد والنشأة الأولى والمطلب الثاني: ظروف التعلم. أما المبحث الثاني فيمثل هجرات مالك بن نبي ويضم مطلبين، الأول: معايشة حضارة الاستعمار، والثاني: الهجرة إلى العالم العربي. وفيما يخص الفصل الثاني فعنوانه الإنتاج الفكري لمالك بن نبي، والاهتمام بقضايا عصره السمة البارزة في كتاباته، ويحوي ثلاث مباحث كل منها قسم إلى مطلبين، المبحث الأول: مصادر إشعاعه الفكري، المطلب الأول

منه: الثقافة العربية الإسلامية، والثاني: الثقافة الغربية. والمبحث الثاني: آثاره، المطلب الأول منه: مؤلفاته، والثاني: مكانة بن نبي في الوسط الفكري، أما المبحث الثالث فيتحدث عن السمة البارزة في كتابات مالك بن نبي وهي إهتمامه بقضايا عصره، وقسم كذلك إلى مطلبين، الأول: إهتمام مالك بن نبي بقضايا أمته (مشكلة الحضارة)، والثاني: إهتمام مالك بن نبي بقضايا وطنه (ثورة التحرير الجزائرية وما بعد الاستقلال).

الفصل الأول:
أضواء على شخصية
مالك بن نبي

الفصل الأول: أضواء على شخصية مالك بن نبي

يعتبر مالك بن نبي أبرز المفكرين الجزائريين على الرغم من أنه لم ينل حقه من التعريف والإهتمام في بلده الأم، كما أنه يعد من أهم الشخصيات ذات التفكير البناء في العالمين العربي والإسلامي ما جعله يصل إلى العالمية بأفكاره.[1]

لذلك سنحاول في هذا الفصل التعريف به من خلال مبحثين، الأول بعنوان المولد والنشأة، ويضم مطلبين وهما المولد والنشأة الأولى، والمطلب الثاني: ظروف التعلم، أما المبحث الثاني فيمثل رحلات مالك بن نبي ويضم مطلبين، الأول: معايشة حضارة الاستعمار، والثاني الهجرة إلى العالم العربي.

[1] أنظر الملحق رقم 01.

المبحث الأول: المولد والنشأة

يتضمن هذا المبحث مولد ونشأة مالك بن نبي التي قسمت إلى مطلبين الأول يتحدث عن طفولة المفكر بعنوان: المولد والنشأة الأولى، والمطلب الثاني: ظروف التعلم، ويتحدث عن أهم الظروف التي عايشها خلال فترة تعلمه داخل وطنه أو خارجه.

المطلب الأول: المولد والنشأة الأولى (1905 – 1911)

هو مالك (المدعو صديق)، بن الحاج عمر، بن الخضير، بن مصطفى بن نبي، المولود في 1 جانفي 1905م في مدينة قسنطينة.

ومن بين الأشخاص الأوائل الذين تأثر بهم مالك بن نبي وربطوه تاريخيا بحقائق الماضي من ماضي المجتمع الجزائري، والدة جدته لأمه والمسماة "بايا" التي عمرت طويلا حتى جاوزت سن المائة.[1]

ورغم أنه لم يعرفها بما فيه الكفاية بحكم المدة التي عايشها معها، إلا أنه يرى "أنها أورثت العائلة (المسلمة المحافظة) الكثير من مشاهداتها وذكرياتها القديمة"، خاصة منها المتعلقة بالطريقة أو الكيفية غير الشرعية وغير اللائقة التي احتل بها الجيش الاستعماري الجزائر، ولاسيما مدينة قسنطينة التي كانت قاطنة بها، خالقا جوا من الهلع والخوف في أفراد المجتمع الجزائري الذين سارع الكثير منهم إلى الهروب خارج الجزائر وذلك بدافع الحفاظ على النفس. مثلما فعلت عائلة جدته "بايا" التي لجأت إلى تونس عند دخول المستعمر إلى مدينة قسنطينة لتعود إليها فيما بعد.

[1] ياسين عطوي، المفكر مالك بن نبي في حياته وأعماله (1905 – 1973)، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص تاريخ الحديث والمعاصر جامعة المسيلة (محمد بوضياف)، 2016/2015، ص 2.

إن مثل هذه الشهادات والذكريات القديمة التي أورثتها جدة أمه إلى العائلة قد انتقلت إلى مالك بن نبي، خاصة عن طريق إبنتها التي هي جدته لأمه المسماة "زليخة" والتي هي أيضا عمرت طويلا وجاوزت سن المائة[1] وقد كان يقول عنها "أنها إمرأة كانت بارعة في قص الحكايات، إذ كانت تشدنا إليها ونحن متحلقون حولها، كانت هذه مدرستي الأولى، فيها تكونت مداركي...، وفيها تعرف أيضا على الأخلاق الفاضلة ومعاني التضحية والإيثار، إذ كما يقول "سمعت الكثير من أقاصيصها وحكاياتها التي كان محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب، وعمل السوء وما يتبعه من عقاب ... لا أزال أذكر كيف أنها اضطرت ذات يوم تحت ضغط الظروف المادية الصعبة التي كانت تعيشها العائلة، لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي، بدل المال سريرها الخاص..."[2].

وحالة الفقر التي كانت تعيشها العائلة هي حالة جل العائلات الجزائرية آنذاك فقد كانت والدة مالك تشتغل بالخياطة لسد حاجات البيت، قبل أن يعمل زوجها موظفا إداريا[3].

ولقد كان لهذه الأحداث والتغيرات التي عاشها المجتمع الجزائري، علاوة على أثرها الأخلاقي والاجتماعي تأثير نفسي كبير على الجزائريين المسنين آنذاك، ومن بينهم جد مالك لأبيه الذي رفض الحديث مع المستعمر والقبول بالوضع القائم، فباع كل ما تبقى بحوزته من أملاك وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس رفقة شقيقه وإبن له هو عم مالك.

ولقد آثر أبواه في هذا الوقت الاستقرار بمدينة "تبسة" وكان أبوه فقيرا عاطلا عن العمل. وأثرت فيه حال الفقر هذه خصوصا بعد وفاة عمه الأكبر الذي كان قد كفله بقسنطينة أثناء طفولته. فهو في هذا الصدد يقول "... لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر،

---

[1] الطاهر ابرير وقويدر بوسويلف، مالك بن نبي رجل فكر وإصلاح (1905 – 1973)، مذكرة ليسانس في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2012 – 2013، ص 4.

[2] موسى لحرش، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 14.

[3] مولود عويمر، مالك بن نبي رجل الحضارة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ص 11.

إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة، وكان قد تبناني منذ أمد بعيد، مما جعل زوجته تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي، لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتي". فاستقر مع عائلته في تبسة حيث كانت والدته تشتغل الخياطة لكسب قوت أبنائها وجلب الحاجات الضرورية لأسرتها.[1]

وإذا كانت قسنطينة عموما تشغل تفكيره طيلة سنوات طفولته، فإن تبسة أصبحت هي الأخرى مجال استقطاب آخر لتفكيره ونفسيته. ففي هذه المنطقة لم تكن النظم التقليدية تفسح المجال كثيرا للمؤثرات الأخلاقية والاجتماعية الناتجة عن الوجود الإستعماري، فالسكان هناك عموما لم يتخلوا عن فضائلهم وتقاليدهم.

حتى أنه كان معجبا بمجانين مدينة تبسة، ومنهم المدعو "تيرار"، الذي كان يشرب الخمر حد الثمالة، ثم يضرب الفرنسيين بزجاجة الخمر، فكان مالك يعود إلى البيت منتشيا فرحا، وهو يروي الحادثة قائلا: "يا ليتني كنت أنا هو تيرار"، وأحيانا من غيظه كان يقول: "يا ليتني كنت مثل حمة"، وهو شاب أبله لا يعي شيئا مما يحيط به، فيتضح أن مالك نشأ وهو يعي ما يدور حوله منذ طفولته، فكان يؤلمه الواقع الإسلامي، وخاصة الوضع الذي كانت تعيشه الجزائر آنذاك.[2]

المطلب الثاني: ظروف التعلم

[1] موسى لحرش، إستراتيجية إستئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، المطبعة الجهوية، قسنطينة، 2006م. ص 12

[2] ياسين عطوي، المرجع السابق، ص 5.

كان توجه مالك منذ طفولته واضحا لحب المطالعة وحب التعلم عموما؛ فدخل إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية بمدينة تبسة ودرس في الفصل المخصص لأبناء الأهالي.

كما أنه كان في الوقت نفسه يدرس في مدرسة لتعليم القرآن، وفي هذا الصدد يقول أنه كان يقصد مدرسة تعليم القرآن كل صباح باكرا ليكون عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية. لكنه فيما بعد انقطع عن مزاولة الدراسة بها واستمر في التعلم بالمدرسة الابتدائية الفرنسية لأنه لم يستطع سوى حفظ عدد قليل من السور القرآنية، وحسب رأيه فإن عدم الحفظ هذا يعود إلى عدم نجاعة الطرق التربوية المعتمدة في عملية الحفظ، إلا أنه رغم ذلك لم يفقد شعوره الديني وبقي متمسكا به ومحافظا عليه.[1]

وأثناء دراسته بالمدرسة الابتدائية الفرنسية كان يذهب إلى مدينة قسنطينة لزيارة عائلته خاصة بعد التحسن الذي عرفته الظروف المادية لزوجة عمه الأكبر وهذا راجع لحصولها على عمل كأمينة صندوق في متجر، وعودة جده لأبيه من طرابلس بعد احتلالها من طرف الاستعمار الإيطالي.[2]

وخلال تلك الفترة التي كان يدرس فيها مالك بالمدرسة الابتدائية الفرنسية، سمحت له الفرصة بمتابعة مجريات الأحداث الداخلية والخارجية عبر الصحف وبعض الكتابات فكان يقول: "... كنت أدرس بجد طيلة أيام الأسبوع، وبما أني كنت أحرص على كتابة وظائفي مساء السبت فقد كنت احصل على شيء من الحرية يوم الأحد، وبالتالي كنت أقضي يومي كله تقريبا في مخزن السيد (الشريف برقوقة) بقال الحي، وبسبب ظروف الحرب التي أدت إلى

[1] موسى لحرش، مالك بن نبي والفقه الحضاري، مرجع سابق، ص 17.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، القسم الثاني – الطالب –، الطبعة 02، ترجمة عبد الغني النعنعي، ص 30 – 35.

فقدان الورق التجاري المستعمل في لف المشتريات، فقد اضطر كزملائه إلى استبدال الورق المطبوع به.

كانت قضية الحرب آنذاك تظهر في أجزاء مطبوعة، أجد معظم أعدادها الصادرة في مخزن السيد "الشريف" وكنت أغرق في قراءتها باهتمام مولع، خصوصا لما تحتويه من صور كثيرة...".[1]

في هذه الفترة المليئة بالأحداث العالمية الكبرى المتمثلة في الحرب العالمية الأولى تقسيم الإمبراطورية العثمانية من طرف الاستعمار، واحتلال فلسطين من قبل الإنجليز... نجح مالك بن نبي في الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية سنة 1918م بدرجة "جيد" كما نجح في اجتياز امتحان "المنح" "الذي كان له أكثر من معنى عند طفل من أبناء المستعمرات لا يستطيع أهله أن يرسلوه إلى الثانوية".[2]

فبسبب هذه المنحة استطاع متابعة دراسته في المرحلة التكميلية بقسنطينة في مدرسة "سيدي الجليس" التي كان يتحضر فيها المترشحون إلى المدرسة "الرسمية" ودار المعلمين الإبتدائيين والمساعدون الطبيون، وكان "بن نبي يحضر نفسه للدخول إلى "المدرسة الرسمية" ليتخرج منها عونا قضائيا".[3]

وكان لهذا السبب قد سجل نفسه ضمن الدروس الخاصة التي كان يتلقاها من "الشيخ عبد المجيد" الذي كان أستاذا في هذه المدرسة، ويحضر التلاميذ الذين يختارون هذا الإتجاه،

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 18.

[2] مالك بن نبي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، مؤسسة عالم الأفكار، المحمدية، الجزائر، ص 44.

وكانت هذه الدروس الخاصة التي يتلقاها في النحو تقدم الساعة السابعة صباحا في المسجد قبل موعد الدراسة بمدرسة "سيدي الجليس".[1]

وقد تأثر مالك في هذه المرحلة بأستاذيه "الشيخ عبد المجيد" و"مارتان" الذي كان أستاذا بمدرسة "سيدي الجليس"، حيث يقول بشأن "الشيخ عبد المجيد": "وسرعان ما أدركنا عداءه لبعض التقاليد السائدة في المجتمع الإسلامي كالطرق الصوفية، وكراهيته لتجاوزات الإدارة الفرنسية وتصرفاتها ..."، أما أستاذه "مارتان" فقد قال أنه كان "يثري تلاميذه بالمفردات ويطبع في نفوسهم الذوق وفن الكتابة وكان يقرأ لنا أحيانا القطع الجيدة التي كتبها من هم أكبر منا والذين قضوا أكثر من سنة في مدرسته...لقد طبع في نفسي هذا الأستاذ تذوق القراءة، ففي مساء كل سبت كان يعير الكتب للتلاميذ..."[2]

وفي نهاية السنة تمكن مالك بن نبي من اجتياز الامتحانات بنجاح، حيث كان من الناجحين الأوائل، وتم قبوله إبتداء من الموسم الدراسي (1921 – 1922) في "المدرسة الرسمية" التي تخرج أعوان القضاء.

وفي هذا الوقت بالذات بدأ يقرأ للعديد من المؤلفين الأوروبيين أمثال بيار لوتي وكلود فارير وخاصة بيار بورجي الذي تأثر بمؤلف له بعنوان "التلميذ"، الذي فتح أمامه عالم النفس الذي أتاح لعقل فتي كعقله أن يتخلى عن شيء من أوهامه وسذاجته.[3]

ولقد كان لهذا الإتجاه أن يأخذ حسب رأيه إلى أبعد من ذلك، لولا دروس الشيخ "مولود بن موهوب" في التوحيد والسيرة، وتلك التي كانت للشيخ "بن العابد" في الفقه والتي كانت تصحح له من حين إلى آخر بعض المفاهيم والتصورات، فضلا عن دروس الشيخ "عبد

[1] لويزة لعميري، نظرية الثقافة عند مالك بن نبي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014، ص 13.

[2] مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 13.

[3] موسى لحرش، مالك بن نبي والفقه الحضاري، مرجع سابق، ص 19.

المجيد" الذي كان يحلل فيها بعض وجهات نظره في إنحراف المجتمع وتجاوزات الإدارة الفرنسية، وقد اذكى ذلك كما يقول في نفوسنا تأييدا وحماسة.[1]

كما أن من بين الكتب الهامة التي عثر عليها في هذه الفترة وإعتبرها من الينابيع البعيدة المؤثرة والمحددة لإتجاهه الفكري كتاب الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق "لأحمد رضا" و"رسالة التوحيد" للشيخ "محمد عبده" وقد تولى الشيخ "مصطفى عبد الرزاق" وأحد المستشرقين الفرنسيين ترجمته للفرنسية.[2]

وقد ساهم هذان الكتابان – بالنسبة إليه – كثيرا في تصحيح بعض التصورات التي كانت لديه سواء فيما يتعلق بالمجتمع الإسلامي أو المجتمع الغربي.

ومن بين المؤثرات المحددة لإتجاهه الفكري أيضا في تلك الفترة بالذات من حياته، ما تلقاه من صديقه "حمودة بن الساعي" من تحليلات تركت في نفسه أثرا خاصا، حيث يقول في هذا الشأن: ".... ف "بن الساعي" الذي كان يكبرني لم يكن مخلصا ذكيا ومثقفا بالعربية والفرنسية فحسب بل هو شخص مثال وقدوة ..."[3]

كما أن الفرصة سمحت له بالتعرف أيضا على بعض تلاميذ "عبد الحميد بن باديس" رجل الإصلاح الديني. وشعر من خلال النقاشات التي شاركهم فيها أنهم يتقاسمون الانشغالات نفسها معه.

وفي نهاية السنة الدراسية (1921 – 1922) تمكن من اجتياز الإمتحانات بنجاح والتحق بأسرته في مدينة "تبسة" لقضاء العطلة الصيفية حيث تمكن من التعرف على عدة صحف ومطالعتها من بينها صحيفة "الإقدام" التي كان يصدرها "الأمير خالد" وصحيفة "الراية

[1] مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 66.

[2] موسى لحرش، مالك بن نبي والفقه الحضاري، مرجع سابق، ص 20.

[3] مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 67.

L'étendard" التي كان يصدرها "دندان" وكان أبوه يتلقاها بإستمرار بالإضافة إلى صحيفة تونسية جديدة بدأت تصل إلى "تبسة" وهي صحيفة "العصر الجديد" التي كان الإهتمام بها أكبر من الصحيفة التونسية السابقة "الزهرة"، ذلك لأنها متخصصة في شؤون العالم الإسلامي بكامله، بينما الثانية تخصصت في الشؤون التونسية فقط.[1]

وبعد انقضاء العطلة الصيفية عاد "مالك" إلى قسنطينة لمتابعة دراسته من جديد بالمدرسة الرسمية، وخلال فترة الدراسة (1922 – 1923) كان يتردد مع زملائه على مقهى يدعى "مقهى بن يمينة" الموجودة بالحي العام الذي توجد به المدرسة، حيث تدور هناك نقاشات حول مسائل كثيرة تخص الوضع العام في الجزائر وغيرها من الدول، وكان مكتب الشيخ "عبد الحميد بن باديس" على بعد خطوات من هذه المقهى، بحيث كان يستقبل فيه أصدقاءه وتلاميذه ويدير مؤسسته الصغيرة التي إتخذت شكل شركة ذات أسهم تصدر مجلة "الشهاب" التي جاءت في أعقاب إحتجاب "المنتقد"، ولم تكن قد ظهرت إلا لفترة قصيرة ثم منعتها الإدارة المحلية من الصدور.

في هذه الفترة بالذات إزداد أيضا شغف "بن نبي" بمطالعته الصحف على إختلاف توجهاتها السياسية، مثل صحيفة "الشؤون العامة لقسنطينة La dépêche de Constantine" وصحيفة "الإنسانية" وصحيفة "الكفاح الاجتماعي La lutte sociale"، وكان يستثمر كل المعلومات التي يستقيها من هذه الصحف في مناقشاته العامة مع زملائه بمقهى "بن يمينة" فضلا عن أنه أعاد قراءة كتاب "الإفلاس المعنوي للسياسة العربية في الشرق" "لأحمد رضا" قراءة متأنية، وزاد عليه أيضا قراءة كتاب أم القرى لـ "عبد الرحمان الكواكبي" لأول مرة.[2]

[1] مالك بن نبي المصدر السابق،ص 83.

[2] مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 87 – 88.

وكل هذه القراءات والمطالعات ساهمت – في نظره – مع غيرها في كسب طريقة تحليل نقدية للأوضاع العامة التي يعيشها المجتمع الجزائري على غرار مجتمعات العالم الإسلامي والعالم المتخلف ككل.

وفي نهاية دراسته – كبقية زملائه الذين بلغوا السنة الرابعة من الدراسة – كان يتساءل ما العمل بعد التخرج من المدرسة؟ كما كان يفكر في تأليف كتاب بعنوان "الكتاب المنفي Le livre proscrit". لماذا هذا العنوان، وماذا سيكون محتوى هذا الكتاب؟، تلك بعض الأسئلة التي قال بشأنها أنها "كانت تحرجني لو أن أحدا سألني، ولكن الفكرة إستهوتني ..." ويبدو أن ذلك راجع إلى شعوره بالغربة في بلده، أو بالظلم الذي كان يمارسه المستعمر الفرنسي على الجزائريين وهو واحد منهم.

وبعد اجتيازه لإمتحانات آخر السنة الدراسية (1924 – 1925) بنجاح وتخرجه من المدرسة الرسمية، فضل التنقل إلى فرنسا رفقة زميله بالمدرسة "قاواو" وذلك للبحث عن عمل، فزارا "مرسيليا" و "ليون" و"باريس" ولكنهما لم يحظيا بعمل مناسب، فعادا للجزائر.[1]

بعد عودته إلى "تبسة" حاول العمل بالمحكمة بصفة عون في القضاء لكن لم يتسن له ذلك في البداية، لأنه لم يبلغ بعد (كجزائري) السن القانوني لممارسة هذه الوظيفة الذي هو إثنين وعشرين سنة.

ولما كان له في هذا الوقت بالذات صديق في محكمة "تبسة" يشغل وظيفة عون قضاء، فقد إتفق معه على أن يقوم بمساعدته دون أجر مادي حتى لا يشعر من الناحية المعنوية بأنه دون حركة أو نشاط، إلى أن إعتمدته المحكمة في نهاية الأمر معاونا متطوعا، وفي هذا الإطار يقول: "فهم قد وجدوا في ذلك فائدة وبالنسبة لي فقد كانت الفائدة مؤكدة، فبالإضافة

[1] احمد بناسي، المدخل إلى فكر مالك بن نبي، الجاحظية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006، ص 14.

إلى الخبرة المهنية، فقد كنت أرافق أعضاء المحكمة لتنفيذ الأحكام، والخروج مع أعضاء المحكمة إلى الريف التبسي يستحق التطوع، فلو إستطعت أن أدفع عليه مالا لفعلت".[1]

وبعد العودة من الريف التبسي إلى المدينة، كان بن نبي يتردد على ناد أنشء بمبادرة من صديقه السابق الذي يعمل بمحكمة تبسة وكان الشيخ "العربي التبسي" ملازما لهذا النادي، يشرح فيه أفكاره ويبدي فيه مواقفه من الأحداث الوطنية والدولية، وإنشاء هذا النادي في هذا الوقت بالذات شكل نقلة نوعية أولى على طريق بحث وعي جماعي.[2]

هذا وعند بلوغه سن الإثنين وعشرين سنة، وهو السن القانوني الذي يسمح له كجزائري بممارسة وظيفة عون في القضاء، تم تعيينه في هذا المنصب إبتداءا من شهر مارس 1927، وكان مكان عمله الأول "أفلو"، حيث مكث فيها سنة كاملة يعمل في محكمتها، وهناك إكتشف ميزة أخلاقية أساسية في أهل هذه المنطقة وهي الكرم وحسن الضيافة.

عاد مالك في مارس 1928 إلى مدينة تبسة لقضاء عطلته بين الأهل، وفي طريقه إلى العودة توقف في مدينة قسنطينة، حيث إتصل بالشيخ "عبد الحميد بن باديس" لأول مرة في مكتبه، وأبلغه ما يجده في نفسه من رؤى وأفكار تتصل بالمجتمع في قرية "أفلو"، وأثناء قضاء عطلته "بتبسة" لاحظ بداية تقلص "الطرقية" وزيادة نشاط الحركة الإصلاحية.[3]

بعد العطلة تم نقله إلى محكمة شلغوم العيد، وكان إسمها يومها "شاتودان château d'un" ولم يناسبه جو المنطقة آنذاك لأنه كما يقول: "... كانت هذه البلدة مركزا كبيرا للمستعمرين، كل شيء فيها يخضع لقانون الإستعمار، أما حياة السكان الأصليين فكانت نوعا من الإقامة

[1] موسى لحرش، مالك بن نبي والفقه الحضاري، مرجع سابق، ص 26.

[2] مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 167.

[3] بن إبراهيم الطيب، مالك بن نبي، وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، دار منى، 2002، ص 40.

في أرض أجنبية ..."، كما أنه لم يعجبه تسلط كاتب محكمة الصلح "الكورسيكي" الأصل، فإنفجر خلاف بينهما، جعله يقدم إستقالته من الوظيفة.[1]

عاد "بن نبي" بعد ذلك إلى مدينة "تبسة" ليصبح شريكا لزوج أخته الكبرى وصديق آخر حيث كانت شراكتهم في مطحنة لكنها لم تلق حظا من النجاح حيث وقعت أزمة اقتصادية سنة 1929، فقرر هو وصهره التخلي عن العمل بالمطحنة، وقرر والداه إرساله إلى فرنسا لاستكمال دراسته مع التكفل بتأمين حاجاته المادية شهريا.[2]

سافر مالك إلى فرنسا عام 1930 وبعد وصوله مباشرة قام بتسجيل نفسه للمشاركة في إمتحانات القبول بمعهد الدراسات الشرقية لكنه لم يوفق في النجاح في هذه الامتحانات ذلك ليس لعجزه وعدم قدرته على اجتيازها حيث لم يجد بها أي صعوبات، إلا أن السبب راجع إلى عدم إتخاذ معيار علمي للإلتحاق بالمعهد إنما يخضع إلى مقياس سياسي حيث كانت ترصد كل التصعيبات لأبناء المتسعمرات لعدم دخول هذا المعهد.[3]

وفي عام 1931 تزوج بفتاة فرنسية إعتنقت الإسلام وسمت نفسها "خديجة" وكانت له سندا قويا في حياته، حيث وفرت له كل الراحة والرعاية البيتية، وشاركته التفكير فيما يخص مسائل عديدة، فهو يقول في هذا الصدد: "... كانت الحياة المنزلية تبتدئ بالنسبة لي، عندما أعود مساء من المدرسة، فآخذ إستراحة قصيرة ... وأتجاذب الحديث مع "خديجة" حول القضية الجزائرية أو حول الدين تبدي رأيها في موازنة الإسلام والمسيحية بطريقة

---

[1] أحمد بناسي، المرجع السابق، ص 14.

[2] مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 197.

[3] عمر بن سليمان، البعد الحداثي في فكر مالك بن نبي، مذكرة ماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2008 – 2009، ص 173.

تفيدني أحيانا، أو تلفت نظري إلى أشياء لا تفقد أهمية بالنسبة لمن لا يحتقر الشيء البسيط لبساطته".[1]

هذا ومع إنقضاء السنة الدراسية (1933 – 1934) وإستعداده للإلتحاق بأسرته لقضاء العطلة الصيفية فوجئ بنبأ وفاة أمه، فأثر ذلك فيه كثيرا ولكنه لم يمنعه كلية من متابعة التطورات التي شهدها المجتمع الجزائري في هذا الوقت بالذات، إذ لاحظ تنامي الشعور بالتذمر والإستياء في صفوف أفراد المجتمع الجزائري من الوضع الاستعماري، وبعد عودته إلى فرنسا بقي مركزا لمجهوداته في الدراسة خلال السنة الدراسية (1934 – 1935) ومتابعا في الوقت نفسه للتطورات المجتمعية الحاصلة في أوروبا وفي العالم الإسلامي ككل. فضلا عن أنه كان يفكر في هذه الفترة في السفر إلى عدة دول كالمملكة العربية السعودية، مصر، إيطاليا ... ولكن جميع محاولاته في هذا الشأن باءت بالفشل نظرا للعراقيل الإدارية التي كان الإستعمار الفرنسي يجتهد في خلقها بالنسبة لأبناء المستعمرات، خاصة أولئك الذين كان يتحسس منهم الرغبة والقدرة في التملص من الدائرة الاستعمارية.[2]

ولأول مرة في حياته، واجه في هذه الفترة بالذات عملية توليد الفعل الكتابي في مقالة كان من المنتظر أن تصدر بجريدة لـ "الأمين العمودي" تدعى "الدفاع"، اختار لها عنوان "مثقفون أو مثيقفون؟" وجاءت كرد فعل عن مقالة نشرت في جريدة "النواب" بعنوان "أنا فرنسا" لكن هذه المقالة لم تنشر في جريدة "الدفاع" ذلك لأن المشرف عليها كان يتجنب ظهور مقالات تبرز إختلافا في الآراء بين الجزائريين.

فكان على مالك الإهتمام أكثر بالنجاح في هذه السنة وإجتياز الإمتحانات بنجاح، وتخرج سنة 1935 مهندسا كهربائيا.[3]

---

[1] مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 274.

[2] موسى لحرش، مالك بن نبي والفقه الحضاري، مرجع سابق، ص 36.

[3] مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 169.

المبحث الثاني: هجرات مالك بن نبي

تعد مرحلة الهجرات التي قام بها مالك بن نبي من أهم مراحل حياته إذ تميزت بنقلة نوعية في مجاله العلمي، وهذا ما سنبينه في هذا المبحث من خلال مطلبين، الأول بعنوان: الهجرة إلى فرنسا، والمطلب الثاني: الهجرة إلى العالم العربي.

المطلب الاول: الهجرة إلى فرنسا

قرر "بن نبي" بعد تخرجه من مدرسة اللاسلكي، الهجرة "لألبانيا" لكنه تراجع فيما بعد عن هذا القرار عندما علم بأن الظروف المعيشية هناك صعبة وفرص العمل محدودة جدا، فاستقر به المقام في "فرنسا" إلى حين، وبقي يتابع هناك التطورات الجارية في العالم، دخل كلية الهندسة في باريس، وتخرج منها مهندسا كهربائيا سنة 1935، إذ كانت خبراته العلمية تؤهله للنبوغ في المجال التقني لا المجال النظري.

عاش بن نبي في عمق المجتمع الفرنسي، ونظر إليه من الداخل في الوقت الذي كان الآخرون ينظرون إليه من الخارج فكان لزاما عليه ليس الحفاظ على الذات وعدم الذوبان فحسب، بل رفع التحدي والتصدي للآخر بأفكاره.[1]

بكل ثقة وفي خضم هذا الواقع الجديد قرر الزواج سنة 1931 من خديجة التي سبق ذكرها وأصبحت كما يقول نعم الزوجة ونعم العون له ووفرت له كل سبل الراحة مما جعله يتفرغ للنشاط مع زملائه الطلبة يتابع عن كثب نشاط الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر ويساندها من فرنسا ما إستطاع، وهذا حال دون توظيفه وتحقيق أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية.[2]

---

[1] ابن براهيم الطيب، المرجع السابق، ص 42.

[2] ميلود زكري ومومني إسماعيل، الأبعاد الحضارية والفنية النظرية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 27.

هكذا وجد ابن نبي نفسه وجها لوجه أمام أعاصير الإستعمار فيقول: "كنت أعيش بباريس وأحمل لوحدي لواء الإصلاح في وجه العواصف والأعاصير التي ينثرها الاستعمار على خصومه".

أخيرا إختار الفكر الحضاري وعكف على الدراسات الإجتماعية والفلسفة النقدية للحضارة الغربية والإسلامية وفي هذه الظروف تعرف على شخصيات بارزة سياسية وثقافية منها المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون"[1]، وتقابل مع المهاتما غاندي الهندي سنة 1932 أثناء زيارته لفرنسا وتعرف على أفكار الكاتب اللبناني شكيب أرسلان والتقى مع بعثة الأزهر بفرنسا وتعرف عليهم وكذلك تقابل مع زعماء الوفد الجزائري الذي زار باريس سنة 1932 بزعامة الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، هذه الأحداث واللقاءات والتحركات جعلته يقترب أكثر بإحساسه ونظره لمأساة بلده الجزائر وبمتغيرات العالم حوله وما آل إليه عليهم من هيمنة وقهر، في كل المجالات، وكان يؤمن بالتغيير الذاتي فجاءت صرخته موقظة لشعبه وفاضحة للمستعمر وجاءت أفكاره في كتبه معبرة عن ضرورة التغيير.[2]

وبعد هذه المبادرات عاد إلى الجزائر، ولم يستطع البقاء فيها لصعوبة المعيشة بسبب الحرب العالمية الثانية التي اشتعلت عام 1939م، وألقت بظلالها على الأوضاع الإقتصادية في الجزائر، التي كانت من أساسها متدهورة بعد أن حطمت فرنسا البنى الأساسية في اقتصاد الجزائر وحولت التنمية الزراعية من المحصول الأساسي الذي يلبي حاجة البلد وهو القمح إلى محصول العنب الذي كان يصنع منه الخمر.[3]

---

[1] لويس ماسينيون: من أشهر المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين وهو منتقد من طرف مالك بن نبي في أكثر من موقف، توفي سنة 1962

[2] عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص 12.

[3] أحمد عمار محمد، صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي، مذكرة لنيل شهادة ماستر قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2014، ص 4.

وفي سنة 1939 م أصدر كتيبا عنوانه "الخطوة الجزائرية" لم يأخذ طريقه للنشر وأشغل وقته في هذه الفترة بالكتابة والعمل الفكري فقد عمل صحفيا في صحيفة "اللوموند" الفرنسية، وبدأ التأليف فأصدر 'أول كتبه وهو "الظاهرة القرآنية"، الذي أصل من خلاله نظريته الاجتماعية، كما فتح له نافذة الحوار والنقد مع تيار المثقفين والمفكرين الفرنسيين.

وعام 1949م أخرج كتاب "شروط النهضة" الذي يعالج مشكلة الحضارة وكيفية النهضة في العالم الإسلامي.

وفي عام 1954 م نشر كتاب "وجهة العالم الإسلامي" الذي عرض فيه نظرية القابلية للإستعمار والدورة التاريخية لحركة الأمم والحضارات، كما نقد الحركة الإسلامية الإصلاحية في الأمة، وواصل كتاباته فأصدر كتاب "لبيك" وكتاب "فكرة الإفريقية الآسيوية على ضوء مؤتمر باندونغ" الذي عقد في أندونيسيا سنة 1955 كما نشرت مقالات في عدد من الصحف الجزائرية والفرنسية، كجريدة "الجمهورية الجزائرية والشباب المسلم"، إلى سنة 1956 حيث غادر إلى مصر وبقي فيها ولم يرجع مرة أخرى إلى فرنسا.[1]

المطلب الثاني: الهجرة إلى العالم العربي

كانت لمالك أحلام قديمة في زيارة بلاد المشرق العربي وخاصة مصر، وقد إمتزجت هذه الأحلام بدوافع وتطلعات سياسية، منها إعجابه بشخصية جمال عبد الناصر، وبالمبادرة السياسية المتقدمة والمتمثلة في مؤتمر باندونغ 1955م، الذي إعتبره السبيل إلى طريق التحرير والاستقلال للعالم الثالث من السيطرة الإمبريالية، فقد ساهم هذا المؤتمر في بلورة الفكر السياسي التحرري لأقطار العالم الثالث، والخطوة في هذا الطريق الطويل هي التقارب والتعاون بين الدول الإفريقية والآسيوية.[2]

[1] زكي أحمد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الصفوة، الطبعة الأولى، ص 45.

[2] أحمد عمار محمد، المرجع السابق، ص 5.

وقد تأثر "ابن نبي" كثيرا بفكرة هذا المؤتمر، وإعتبره منهج الحل لمشاكل العالم الثالث، وأنه الطريق الصحيح لأخذ حقوقه المسلوبة من الإستقلال السياسي والعدل الاجتماعي، وبعد هذا المؤتمر مباشرة شرع في كتابة الأفكار والتصورات التي إستنبطها من وحي مشروع المؤتمر، وتحمس كثيرا لهذه الأفكار وإعتبرها معالجات فكرية ونفسية لنجاح وتقدم برنامج التعاون بين دول العالم الثالث، وحمل هذا الكتاب عنوان "الفكرة الإفريقية الآسيوية على ضوء مؤتمر باندونغ" كتبه بالفرنسية، وحمله معه إلى القاهرة ونشره باللغة العربية.[1]

والدافع الآخر لهذه الهجرة، تصاعد لهيب الثورة الجماهيرية داخل الجزائر والتي كانت القاهرة مركزا لقيادتها وفي هذه الهجرة لم تكن معه زوجته فقد إنفصل عنها بضغط من عائلته، فبعد وفاة والدته في 1934م ظهرت مشكلة داخل العائلة، حيث أجمع أفراد العائلة على ضرورة أن يتزوج ثانية، لأن زوجته الأولى – خديجة – لم توفق للإنجاب وكانت أمه تحلم أن يكون لها أحفاد من مالك.

ومع أنه فارق زوجته خديجة إلا أنه حافظ على العلاقة معها بالمراسلة وظل وفيا لها، وبين فترة وأخرى كان يرسل لها مساعدات مالية.[2]

وفي القاهرة بدأت مرحلة جديدة في حياة ابن نبي الفكرية تأثرا وتأثيرا، ونما عطاؤه الفكري في أكثر من بعد، وتجاوز حدود القاهرة بالامتداد إلى العالم العربي، فقد قام بعدة زيارات إلى بعض العواصم العربية كدمشق وبيروت لمهام ثقافية.[3]

---

[1] زكي أحمد، المرجع السابق، ص 46.

[2] المرجع نفسه، ص 46.

[3] نور الدين بوكروح، مالك بن نبي فكره وأعماله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الطبعة الثانية، الجزائر، 2006، ص 27.

وفي سنة 1937 عين كأحد مستشاري "المؤتمر الإسلامي" في القاهرة، وبقي هناك حتى سنة 1963.

وهناك بالقاهرة ركز إهتمامه على إتقان اللغة العربية وكان يحاضر ويكتب بها، ثم قام بترجمة كتبه إلى العربية بمساعدة بعض الطلبة، فلقيت إستحسانا كبيرا في وسط المثقفين – الشباب منهم خاصة – في مصر والأقطار العربية والإسلامية المجاورة.

والحقيقة أن مالك بن نبي لم يعرف في العالم العربي والإسلامي إلا بعد هجرته إلى القاهرة التي تعتبر من المرجعيات الفكرية الهامة والتاريخية في العالم العربي والإسلامية، وفي نظر الدارسين لشخصية "بن نبي" إن هذه المرحلة من حياته تعد أغنى مراحل عطائه الفكري.

فبعد فترة من إقامته وتعرفه على العديد من المفكرين والشخصيات المعروفة في الوسط الثقافي دخل معها في أكثر من حوار ونقاش ساعد على ظهوره وبروزه في الحياة الفكرية في القاهرة خلال تلك الفترة.[1]

ولعل المحامي اللبناني "عمر كامل مسقاوي" من المهتمين الذين تعرفوا على فكر مالك ابن نبي، وحين يعرض تجربته في بداية تعرفه على ابن نبي يقول: "ففي الفترة ما بين عام 1956 حتى 1960م – وكنت آنذاك طالبا في القاهرة – عرفت مالك بن نبي وافدا إلى مصر يحمل كتابه بالفرنسية "فكرة الإفريقية الآسيوية" وقد صدر في سلسلة – اخترنا لك – وكان أن تحدثت عنه مجلة روز اليوسف في لقاء مع أحد محرريها الدكتور مصطفى محمود، فلفت إنتباه صديق لي من المغرب، الدكتور "عبد السلام الهراس" أستاذ الأدب الأندلسي حاليا في جامعة فاس، وكنا آنذاك صحبة دراسة .. هكذا وصلنا الصديق المغربي

[1] مولود عويمر، المرجع السابق، ص 20.

بالمفكر الجزائري مالك بن نبي يحمل قضيته ومنهجيته في الحديث، فاستقمنا لها سمعا وإستقامت لنا خطة إدراك.

وإذا يبلغ بعضنا بعضا حديث مالك بن نبي في ندوات نعقدها كيفما إتفق، فقد توثقت بيني وبينه أواصر الصلة الفكرية والروحية معا ووجدتني على غير تأهب منغمرا في مجالس مالك بن نبي بعدما تناقل الناس "شروط النهضة" بالعربية، وعليه إسم ذلك الطالب والمترجم معا".[1]

ومن أولى نشاطاته الفكرية ترجمة كتبه من النص الفرنسي إلى النص العربي، والطالب هنا إشارة إلى صاحب الكلام، الأستاذ مسقاوي الذي عكف بإشراف ابن نبي على إخراج كتاب شروط النهضة بالعربية وصدر في القاهرة سنة 1957م وأبرز من تعاون معه في هذا الحقل الأستاذ "عبد الصبور شاهين" الذي ترجم العديد من كتابات ابن نبي إلى العربية، وبذلك فقد ساهم بجهد كبير في تعريف ابن نبي إلى قراء وكتاب العالم العربي، وممن شارك في هذا العمل أيضا الأستاذ مسقاوي الذي كلفه ابن نبي قبل وفاته بإيداع جميع حقوقه المنشورة وله صلاحية نشرها، وظلت تصدر بإشراف من الأستاذ مسقاوي تحت إطار ندوة مالك بن نبي.[2]

وأول كتاب أصدره باللغة العربية بخط يده كتاب "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة

وموازاة لهذه النشاطات الفكرية، كانت له بعض الفعاليات الإعلامية التي تخدم قضية بلده، فقد نشر رسالة بعنوان "النجدة: الشعب الجزائري يباد"، كما وجه خطابا إلى رئيس الوزراء الفرنسي في وقته "غي موليه".

---

[1] زكي أحمد، المرجع السابق، ص 48.

– انظر الملحق رقم 2.

[2] نور الدين بوكروح، المرجع السابق، ص 26.

وبعد أن خلق ابن نبي له مكانة لها وزنها في القاهرة، أختير كمستشار للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة، وتحت هذا الإطار شارك في عدد من المؤتمرات، كما كانت له مشاركات في إجتماعات مجمع البحوث الإسلامية.

ومن الكتب التي صدرت له في القاهرة (مشكلة الثقافة) و(ميلاد مجتمع) و(حديث في البناء الجديد).

وبقي في القاهرة حتى سنة1963 حين إنتصرت الثورة الشعبية في الجزائر، ثم عاد إلى أرض الوطن إلى أن توفي في الواحد والثلاثين من أكتوبر 1973 بعد أن ترك إرثا قيما من الكتب الفكرية والأدبية.[1]

[1] لويزة لعميري، المرجع السابق، ص 17.

الفصل الثاني:
الإنتاج الفكري لمالك بن نبي،
والاهتمام بقضايا عصره
السمة البارزة في كتاباته

الفصل الثاني: الإنتاج الفكري لمالك بن نبي، والإهتمام بقضايا عصره السمة البارزة في كتاباته

يمثل هذا الفصل أهم جزء من هذه المذكرة على اعتبار أنه يتحدث عن الإنتاج الفكري للمفكر "مالك بن نبي" لذا قسمته إلى ثلاث مباحث، يتناول الأول منها مصادر إشعاعه الفكري، والثاني آثاره، أما الثالث فيتحدث عن السمة البارزة في كتابات مالك بن نبي وهي إهتمامه بقضايا عصره.

المبحث الأول: مصادر إشعاعه الفكري

ترجع المرجعية الفكرية لمالك بن نبي إلى عدة مصادر، إلا أن أهمها يتمثل في الثقافة العربية الإسلامية وهو ما سنبينه في المطلب الأول من هذا المبحث والثقافة الغربية التي سنتناولها في المطلب الثاني.

المطلب الأول: الثقافة العربية الإسلامية

سبقت الإشارة إلى الدور الذي قامت به العناية الأسرية في تشكيل شخصية مالك بن نبي، فإذا كانت الأسرة هي النواة أو الخلية الأساسية التي ينشأ الفرد في أحضانها فإن روايات جدته لأمه تعد المدرسة الأولى التي تكونت فيها مداركه. فقد كانت هذه الحكايات تدور حول العمل الصالح الذي يترتب عنه الثواب. فجدته أدت دورا أساسيا في غرس القيم الأخلاقية الإيجابية وتغذيته بشعور ديني يتمحور حول حث الخير ونبذ الشر من خلال القصص والحكايات التي كانت ترويها.[1]

أما المدرسة فتعد فضاء تربويا يسمح أيضا في صياغة الشخصية، فقد إعتبرها علماء الاجتماع مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية. ففي الوسط المدرسي تلقى مالك تكوينا علميا وأدبيا حيث درس التوحيد على يد شيخه "مولود بن موهوب" ويقول عنه مالك بن نبي: "وقد تولى الشيخ مولود ابن موهوب جذب أفكارنا وعقولنا إلى خط تلك الحركة التقليدية القديمة ..."، حيث غرس في قلبه حب الحركة الإصلاحية وجذبه إلى خطها، كما درس الفقه والسيرة على يد شيخه عبد المجيد، كما مكنته دروس الشيخ بن العابد من إجتناب الوقوع في متاهات الفكر الغربي. إذ يقول عنهم مالك: "وكان لهذا الاتجاه أن يأخذ بي أبعد من ذلك، لولا دروس الشيخ (مولود بن موهوب) في التوحيد وسيرة النبي وتلك التي للشيخ (بن العابد) في الفقه، فقد كانت هذه مذكرا قويا يعود بروحي إلى الطريق الصحيح، ومن

[1] ميلود زنكري، مومني إسماعيل، المرجع السابق، ص 23.

جهة أخرى كان للشيخ (عبد المجيد) يحلل في دروسه بعض نظراته في انحراف المجتمع وتجاوزات الإدارة، وقد أذكى ذلك في نفوسنا تأييدا وحماسة".[1]

كما تأثر بن نبي تأثرا كبيرا بالحركات بالإصلاحية الإسلامية وخاصة الحركة الإصلاحية بالجزائر ورائدها عبد الحميد بن باديس وتأثرا أيضا بالحركة الوهابية في الحجاز والحركة الإصلاحية في المشرق ومن شخصياتها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد رشيد، وكذا بكتاب "عبد الرحمان الكواكبي" (أم القرى) إذ يقول فيه مالك: "لم أكن أشك بأنه كتاب خيالي ولكن في نفسي كان عميقا". وتأثر أيضا (بمقدمة ابن خلدون) و(مروج الذهب) للمسعودي وكتابي (العبرات) و(النظرات) للمنفلوطي، كما كان لأفكار "زكي مبارك" ضد الصوفية والطرقية أثر واضح على موقف مالك بن نبي المعادي للطرقية في الجزائر.

كما يعتبر حمودة بن الساعي موجهه لدراسة العلوم الإنسانية خاصة فيما يخص كيفية تفسير الآيات القرآنية تفسيرا إجتماعيا، إذ يعد القرآن الكريم الباعث الروحي والأساس الأول في تكوين مالك بن نبي حيث وضع في الدراسات القرآنية أول مؤلف له.[2]

المطلب الثاني: الثقافة الغربية

تلقى مالك بن نبي عن المدرسة الفرنسية بالجزائر حب المطالعة والإستفادة من المجتمع الديكارتي العقلاني، كما طالع الصحف والمجلات الغربية وخاصة الجرائد الماركسية كجريدة (الإنسانية L'humanité) وجريدة (الكفاح الاجتماعي Lutte sociale) وهذه الصحف التي تمثل الإتجاه الماركسي قد كشفت لمالك عن طبيعة التفاعلات الاجتماعية والقوانين التي تحرك المجتمع، كما ساهمت في تشكيل ثقافته الاجتماعية[3]، حيث إطلع على مؤلفات

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 66.

[2] أحمد عمار محمد، المرجع السابق، ص8.

[3] ميلود زنكري، ومومني إسماعيل، المرجع السابق، ص 31.

ماركس ولينين وإستطاع خلال وجوده بفرنسا أن ينمي ويوسع تأملاته الفكرية والأدبية حيث قرأ لمشاهير الأدباء الفرنسيين أمثال "مرتين" و"فيكتور هيجو"، كما تأثر ببعض الفلاسفة والمفكرين الذين تركوا بصمات واضحة في الثقافة الإنسانية المعاصرة ومنهم "نيتشه" و"كانط" و"جون ديوي" فكان كتاب "نيتشه" (هكذا تكلم زراديشت) وأخذ عن كانط فكرة الحق والواجب التي أسس عليها مفهوما للعدالة الإجتماعية حيث نرى ذلك في كتاب (المسلم في عالم الاقتصاد) وطلع أيضا على كتابات المستشرقين عن الإسلام مثل كتاب أجين يونغ (الإسلام بين الحوت والدب) وكتاب "هنري بيرير" (محمد وشرلمان) كما إطلع على كتابات المؤرخ الفرنسي "جيزو" و"ولتر شوبرت" وقرأ للفيلسوف الألماني "إسوالد شينغلر" مؤلفه الضخم (تدهور الحضارة الغربية).[1]

وكان للمؤرخ "أرنولد توينبي Arnold Toynbe) صاحب مؤلف "دراسة التاريخ" أثر كبير في فكر مالك بن نبي وفي نظرته للحضارة، حيث ستمد منه فكرة التحدي ودورها في نشوء الحضارات، فصاغها صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم ويتجلى ذلك في كتابه (ميلاد مجتمع).[2]

وأخذ عن الفيلسوف الألماني "هرمان كسرنلنج Keyserling" فكرة البدايات الدينية لكل الحضارات التي عرفتها الإنسانية، ويتضح ذلك في كتابه (شروط النهضة).[3]

ومن هذا يتبين أن الإرتباط بالإسلام وتراثه والإنفتاح على الحضارة الغربية وعلومها هما العاملان الأساسيان الموجهان لمالك بن نبي وطبيعة البيئة الاجتماعية بكل مؤثراتها التي سادت مرحلة نشوء المفكر وإمتدت إلى مراحل متقدمة من شبابه قد تشكلت بصفة أساسية

---

[1] أحمد عمار محمد، المرجع السابق، ص 9.

[2] أنظر: مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، الجزء الأول، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2013،لا ص 54.

[3] أنظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، بدمشق، الطبعة الثانية، 1987، ص 80.

– فكرا وواقعا – من الإسلام والمسلمين، ومن الحضارة الغربية، وأبنائها وهذا الحضور المستمر والمتلازم لهذين المرجعين نشهده بين الكتاب والمدرسة الرسمية، وفي تجاربه المعيشية في المجتمعين الجزائري والفرنسي، بين الجزائريين والمستوطنين، أو بين المهاجرين والفرنسيين.[1]

[1] ميلود زنكري، ومومني إسماعيل، المرجع السابق، ص 31.

المبحث الثاني: آثاره

سنحاول من خلال هذا البحث ذكر مؤلفات المفكر مالك بن نبي وذلك في المطلب الأول بحيث أنه مما لا شك فيه أن الإنتاج الفكري لمالك بن نبي يتسم بالغزارة لذا قسمت إلى مؤلفات مطبوعة وأخرى مخطوطة ومسجلة، أما المطلب الثاني فسيكون عن مكانة المفكر مالك بن نبي في أوساط المفكرين.

المطلب الأول: مؤلفاته[1]

أولا: مؤلفاته المطبوعة

1/ كتاب الظاهرة القرآنية:[2] صدر سنة 1946 وهو يعد من أحسن أعمال مالك بن نبي وأعمقها، وقد تعرض لعملية حرق في صورته المخطوطة في ملابسات وظروف خاصة، ثم أعيد جمع عناصره المتبقية وتأليفه من طرف مالك بن نبي.

2/ كتاب شروط النهضة: يعد كتابا ذا قيمة عظيمة أبرز فيه مالك بن نبي مزايا الحركة الإصلاحية في الجزائر خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، إضافة إلى سلبياتها وضعفها.[3]

3/ كتاب لبيك حج الفقراء: صدر سنة 1947، وهو القصة الوحيدة لمالك بن نبي، وقد إتصل به سينمائيون فرنسيون بمجرد صدورها قصد إخراجها كفيلم، لكن مالك رفض الفكرة لأنه شعر بأنهم يهدفون من ورائها إلى تحويل وجهته نحو قضايا هامشية لا تتماشى مع توجهاته الفكرية ومبادئه الإصلاحية.[4]

---

[1] أنظر الملحق رقم 3.

[2] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 2000م، ص4.

[3] أنظر: شروط النهضة لمالك بن نبي، مصدر سابق.

[4] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ترجمة: زيدان خويلف، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009م، ص3.

4/ كتاب وجهة العالم الإسلامي: وهو من أهم كتبه، صدر سنة1954 مع قيام الثورة الجزائرية، تناول فيه فوضى العالم الإسلامي وأزماته، ومحاولات نهضته، ويعد هذا الكتاب آخر كتبه بفرنسا قبل أن ينتقل إلى مصر للإقامة بها.[1]

5/ كتاب الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ: صدر سنة 1956م، وهو كتاب يبين مدى تأثير فكرة عدم الانحياز في مالك بن نبي وإعتقاده بأنه بإمكان دول عدم الانحياز تشكيل كتلة عالمية ثالثة هدفها ضمان السلام العالمي وتقديم البديل الحضاري للإنسانية لأنها تملك شروط هذا البديل.[2]

6/ كتاب مشكلة الثقافة: صدر سنة 1956 بالقاهرة، وهو تطوير لما كتبه مالك في كتابيه "شروط النهضة" و"الفكرة الإفريقية الآسيوية" ذلك أنه شعر بالحاجة إلى جمع أفكاره حول الثقافة وعرضها من جديد في صورة تحليلية تحفز الفكر العربي والإسلامي، وتحركه بإتجاه إكتشاف الحقائق ووفق بين المعطيات النابعة من تجربته، برؤية جديدة لم تعهدها المصطلحات التي تمت صياغتها في إطار الفكر الليبرالي.[3]

7/ كتاب النجدة .... الشعب الجزائري يباد: وهو كتيب عن الإبادة التي تعرض إليها الشعب الجزائري من طرف الاستعمار الفرنسي الوحشي وظهر سنة 1956 في القاهرة.[4]

8/ كتاب الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم: وقد صدر هذا الكتيب بعد محاولة الإغتيال التي تعرض لها مالك بن نبي في القاهرة سنة 1960م.[5]

---

[1] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ج2، المسألة اليهودية، ط1، دار الفكر، دمشق، 2012م، ص8.

[2] مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 2001م، ص4.

[3] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984م، ص 127.

[4] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، ترجمة: زكي أحمد، دار الفكر، دمشق، ص48.

[5] أحمد عمار محمد، المرجع السابق، ص 13.

9/ كتاب الصراع الفكري في البلاد المستعمرة: ظهر في القاهرة سنة 1960 وهو أول محاولة لمالك بن نبي في الكتابة بالغة العربية مباشرة.

ويلخص بقوله: "... فهذه الصفحات تعتبر إذن محاولة للتوفيق بين واجب الصمت وواجب الكلام، ولعل القارئ الشاب يجد فيها الشبه الذي يلفت نظره إلى واقع الصراع الفكري".[1]

10/ كتاب تأملات: صدر سنة 1961 في القاهرة، وهو يشمل كتابيه (حديث في البناء الجديد) الذي صدر سنة 1960 و(تأملات في المجتمع العربي) الذي ظهر عام 1961.

وعن كتاب (تأملات) يقول "عمر مسقاوي": "وحينما الأستاذ رحمه الله يطبع كتبه من جديد، شاء أن يعطي لتأملاته شمولا يتلاءم مع نطقها، فهو إذا تحدث عن المجتمع العربي فإنما يعالج الظواهر المرضية التي إنتشرت في العالم المتخلف إلى مستوى المشاركة في مسيرة العالم".[2]

11/ كتاب إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث: صدر سنة 1970 في القاهرة، وفيه يبين مالك بن نبي أن الإنتاج الاستشراقي كان شرا على المجتمع الإسلامي، فإنه ركب في تصوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح، أو الإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحضارة، وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا.[3]

12/ كتاب مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: وهو كتاب جمع مالك بن نبي المدة الضرورية لإتمام تأليفه سنة 1960 بالقاهرة، ثم طرأ طارئ الصراع الفكري فحبسه عنه، وإضطره إلى الشروع في تأليف كتاب الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، الذي أصدره في نفس السنة، وفي سنة 1970 إقتنع مالك بن نبي بضرورة إستئناف كتابه (مشكلة

---

[1] موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 54.

[2] مالك بن نبي، تأملات، ترجمة: عمر مسقاوي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

[3] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، بيروت، 1969، ص ص 5، 9.

الأفكار في العالم الإسلامي) وطبعه. وفي مقدمته حدد الهدف من تأليفه فقال: "ونعتقد أن هذا الكتاب يعطي فكرة على درجة كبيرة من الصواب عن أهمية هذه المشكلة ليس فقط المجتمع الإسلامي وإنما أي مجتمع إنساني، وإذا وفقنا الله في توضيح هذه الفكرة بدرجة كافية فإن الهدف المنشود من هذا الكتاب يكون قد تحقق".[1]

13/ كتاب المسلم في عالم الاقتصاد: صدر سنة 1972 في بيروت، وفيه يقول مالك محددا الهدف من تأليفه: "وهذه الدراسة بالذات هي مجرد محاولة تصفية لموضوع الإقتصاد من الجوانب الإضافية التي تطرأ عليه في صورة ضرورية فنية تنشأ في الطريق أو كضرورة سياسية تسلط عليه لمراقبة عمليتي الإنتاج والتوزيع طبقا لمبادئ ومساهمات مذهبية معينة".[2]

14/ كتاب بين الرشاد والتيه: وهو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها مالك بن نبي بالفرنسية ونشر معظمها في جريدة الثورة الإفريقية بعد عودته إلى الجزائر عقب إستقلالها مباشرة، فجمعها عام 1972م، وترجمها إلى اللغة العربية ثم حدد فصولها، وإختتمها بكلمة عن الصراع الفكري، غير أن الكتاب لم يطبع إلا بعد وفاته، وكان ذلك بطرابلس عام 1978م.[3]

15/ كتاب مجالس دمشق: عبارة عن محاضرات ألقيت عامي 1971 – 1972، وهذا الكتاب نتاج تلك المجالس، وفي مقدمته يقول عمر مسقاوي: "مخطوط مجالس دمشق لم يصل إلى يدي، إذ كان بن نبي قد جمعه وهو في دمشق ونقحه ثم تعاقد مع دار الشروق لكي تنشره كتابا وأنا إعتمدت في هذا كله على بعض الوثائق".[4]

---

[1] موسى لحرش، المرجع السابق، ص60.

[2] مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الفكر، دمشق، 2000م، ص4.

[3] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، دمشق، ط2، ص 214.

[4] مالك بن نبي، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، 2005، ص9.

16/ كتاب فكرة كمنويلث إسلامي: ظهر سنة 1960 بالقاهرة، وهو عبارة عن مقالات كتبها ونشرها بن نبي في باريس في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات في صحيفتين جزائريتين ناطقتين باللغة الفرنسية، وهما (الشباب المسلم) و(الجمهورية الجزائرية).[1]

17/ كتاب في مهب المعركة: يتضمن أربعة فصول[2]: الاستعمار تحت المجهر، في وحل السياسة، في الحقل الاجتماعي، في حديقة الثقافة، حيث شرح الكتاب الفوضى الاستعمارية.

18/ كتاب ميلاد مجتمع في شبكة العلاقات الاجتماعية: صدر سنة 1972 في القاهرة، ويقدمه عمر مسقاوي في طبعته الثانية عام 1974 بقوله: "وميلاد مجتمع هو الجزء الأول من دراسة لم يتمها المؤلف، ولكنه يستقل في بحث متكامل عن شبكة العلاقات الإجتماعية والكتاب نظرة تحليلية لمكونات المجتمع.[3]

19/ العفن: يتكون الكتاب من 204 صفحات، الجزء الأول (1932 – 1940)، يلخص فيه الأستاذ "مالك" نشأته وبداية نضاله ومسيرته، وعلاقة بعدة أطراف، وسبب تدهورها.

20/ كتاب آفاق جزائرية: صدر سنة 1964 في الجزائر، ويتضمن ثلاث محاضرات، الأولى تحت عنوان (مشكلة الحضارة) وألقيت بالفرنسية في الجزائر العاصمة بتاريخ 1964/01/09م، والثانية بعنوان (مشكلة الثقافة) وألقيت في الجزائر بالعاصمة بالفرنسية بتاريخ 1964/01/15م، وباللغة العربية في مدينة قسنطينة بتاريخ 1964/01/30م، أما الثالثة فهي (مشكلة المفهومية) وألقيت باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة بتاريخ 1964/02/24م، ونشرت كاملة بجريدة (الشعب) بالفرنسية في فيفري 1964م.[4]

---

[1] مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، دمشق، 2002، ص12.

[2] مالك بن نبي، في مهب المعركة، ط3، دار الفكر، دمشق، 2002.

[3] أنظر: مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق.

[4] مالك بن نبي، العفن، مذكرات الجزء الأول (1932 – 1940)، ترجمة: نور الدين خندودي، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص4.

21/ كتاب مذكرات شاهد للقرن: ويتكون من قسمين القسم الأول أصدره مالك عام 1966 في الجزائر بالغة الفرنسية، ثم ترجم إلى العربية من طرف الأستاذ مروان فدواني وصدر نهاية الستينات.

أما القسم الثاني فقد صدر في بداية السبعينات، وترجمه مالك بن نبي بنفسه إلى العربية، ولما أعيد طبع الكتاب من جديد تم إدماج القسمين في طبعة واحدة (الطفل – الطالب)، وأعيدت ترجمة القسم الأول كما صرح بذلك المحامي عمر مسقاوي: "فالترجمة الحاضرة للقسم الأول من الكتاب ترتكز في أساسها على النص الفرنسي، وعدتها ترجمة الدكتور النعنعي، لكننا إستفدنا كثيرا من جهود الأستاذ مروان قنواتي".[1]

22/ كتاب دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين: وهو عبارة عن محاضرتين، الأولى تحت عنوان (دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين) كان قد ألقاها في رابطة الحقوقيين بدمشق في 23 آذار 1972م.[2]

والثانية بعنوان (رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين)، ألقاها في مسجد المرابط بدمشق في 22 أيار 1972، وقد تم طبع وإصدار هاتين المحاضرتين في كتيب سنة 1978م بدمشق.

ثانيا: مؤلفاته المخطوطة والمسجلة[3]

1/ خطاب مفتوح لخروتشوف وإيزنهاور.

2/ دولة المجتمع الإسلامي.

---

[1] مالك بن نبي، آفاق جزائرية، دار الفكر، دمشق، 2005م، ص9.

[2] مالك بن نبي، شاهد للقرن، مرجع سابق، ص10.

[3] مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، ط2، 2007، ص7.

3/ مذكرات شاهد للقرن (القسم الثالث).

4/ العلاقات الإجتماعية وأثر الدين فيها.

5/ نموذج لمنهج ثور.

6/ اليهودية أم النصرانية.

7/ دراسة حول النصرانية.

8/ العفن.

9/ مجالس تفكير (محاضرات كان يلقيها في منزله في الجزائر بعد الاستقلال).[1]

المطلب الثاني: مكانة بن نبي في الوسط الفكري

إذا حاولنا وضع مالك بن نبي في مكانة معينة بين رجال الفكر العربي أو الإسلامي بصفة عامة فإننا لن نفي الرجل حقه إنما نحاول جمع أهم ما قيل فيه من طرف المثقفين والمفكرين من أبناء عصره، فقد كان رجل فكر وإصلاح بكل ما للكلمة من معنى.

كان يقدس الثورة كفكرة، ويفهمها أنها إرادة تغيير هادف ... كما يقول الأستاذ فوزي حسن – الذي كان على علاقة وطيدة به إستمرت لسنوات تركت في ذاكرته شواهد دالة على حقيقة وعظمة مالك بن نبي –: "كان ذا ثقافة واسعة"، يجيد الحوار والرد على سائله بشكل مقنع شاف، حتى أنه كان يستطيع تحديد إختصاص السائل العلمي لمجرد توجيه الأسئلة حول أي موضوع، كان ينشر كتبه لغرض إيصال فكرة ولذلك فهي تباع بسعر زهيد مما يوقعها بعجز يسده من جيبه". فالأستاذ "حسن" يبين لنا معاناة "مالك" في إيصال أفكاره، وبذله في سبيل ذلك رغبة في بعث عالم آخر متجدد بعد الركامات والانهزامات، فإرادة

[1] أحمد عمار محمد، المرجع السابق، ص 18.

التجديد والسعي وراء تجسيده سمتان كانتا تميزان مسار هذا المفكر الذي شخص كثيرا من الحالات التي كانت تهلك أمته.[1]

يقول الدكتور "مصطفى السباعي"[2]: "إستطاع بأسلوبه الذي تفرد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع إحتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير، وبدأ يرى في الأستاذ بن نبي رائده الفكري البعيد النظرة القوي الإيمان، المناضل بقلمه في سبيل الإسلام".

أما الأستاذ "عمر مسقاوي" فيقول: "تنطلق أفكار بن نبي لتضيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه، أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة، فهو يطرح الإسلام كملهم لقيمنا، وقادر على إستعادة دور الإنسان مبرأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية".[3]

ومن بين ما قاله عنه "أنور الجندي": "مالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة المفكرين، والكتاب، فهو فيلسوف أصل له طابع أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن الكريم والسنة، والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب، وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرومان، والسيخية".

وهذا ما يؤكده الأستاذ "محمد مبارك" :إنه عربي مسلم، ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسده من شيء، وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذها، ومعرفته لمصادرها، ولدوافعها الخفية وبواعثها العميقة ولاسيما أنه جمع إلى جانب

---

[1] بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004، ص26.

[2] مصطفى السباعي: (1915 – 1964) مؤسس حركة الإخوان المسلمين في سوريا، أنشأ جريدة المنار وهو أول عميد لكلية الشريعة بجامعة دمشق، أنظر: أحمد عمار محمد، مرجع سابق، ص 19.

[3] أحمد عمار محمد، المرجع السابق، ص 20.

الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء، عميقة الأغوار، كما تدل عليه آثاره، ومؤلفاته العديدة التي قرأناها... لقد تجمعت في قلبه ونفسه، في عاطفته وشعوره، في قلبه وتفكيره مآسي أولئك الملايين من البشر الذين يعيشون على أرض الجزائر ضحايا مدنية القرن العشرين، وأمثلة بارزة لانحطاط أهدافها، وغاياتها".[1]

أما "محمد الميلي" إلى القيمة التي تحظى بها كتابات مالك بن نبي، وإشعاعات فكره فيقول: "يستخلص بن نبي في كتاباته ... أن خلاص العالم الإسلامي يتمثل في تطويع الغرب لروح الإسلام، فقد كان فكر "مالك بن نبي" مدعوا لأن يلعب دورا معتبرا بعد الاستقلال، لكن هذا الدور كان محدودا بفعل عاملين: الأول هو نظريته عن قابلية الإستعمار والتي إستغلها أعداؤه ضده عندما جعلوها نوعا من التبرير للإستعمار، الثاني هو الظرف الخاص الذي عرفته الجزائر بعد عام 1962م، والذي تغلبت فيه إغراءات التجديد ... وكذلك إغراءات التقليد للغرب وأنماطه الحياتية مما صرف النظر عن هضم عصارة الحضارة الغربية، والإستفادة منها إلى أقصى حد ..."[2].

فموقع "مالك بن نبي" كان موقعا طلائعيا في إستنفار القدرات الكامنة، وتحديد ملاجئ الكمون التي يفترض أن تتألق إنطلاقا من الإدراك الفعلي لعمق المشكلة التي تعاني منها الأمة من منظور فكري واقعي بعيدا عن التجريد السافر الذي ينهال على الفرضيات المثلى في تقصي الحقائق والوجهات الملائمة وفق أطر يقتضيها الوضع الراهن...[3]

[1] ياسين عطوي، المرجع السابق، ص 34.

[2] بشير ضيف الله، المرجع السابق، ص 29.

[3] المرجع نفسه، ص 30.

المبحث الثالث: الاهتمام بقضايا عصره السمة البارزة في كتابات مالك بن نبي

لابد أن المطلع على مؤلفات المفكر مالك بن نبي وأعماله يلاحظ أن ما يميزها هو إهتمامه بقضايا عصره لذا سأبين إهتمامه بقضايا أمته في المطلب الأول، أما المطلب الثاني فسيخصص لإهتمامه بقضايا وطنه.

المطلب الأول: إهتمام مالك بن نبي بقضايا أمته (مشكلة الحضارة)

يتبين من خلال مؤلفات مالك بن نبي أن فكره الواسع تعرض للكثير من المواضيع إلا أن أهم نقطة تعالجها مؤلفاته هي مشكلة الحضارة، حيث وصل إلى نظريته المعروفة أن الحضارة لا تستورد، وإنما هي عبارة عن إبداع، وليست تكديسا ولا جمعا لركام من الأشياء، وإنما هي بناء وتركيب للعناصر الثلاثة: الإنسان، والزمن، والتراب وهذه العناصر تمارس مفعولها ضمن تركيب متآلف يحقق" بواسطتها جميعا إرادة وقدرة المجتمع المتحضر.[1]

فقد أسس مالك لإتجاه فكري جديد يعتمد على التقنية العلمية بتركيزه على المحاور الأساسية للمشروع الحضاري للأمة والإنسانية جمعاء، فتطرق إلى الإنسان ككائن له قدراته وإمكانيته الكامنة، وكمشروع يعتبر رأسمال الحضارة، فهو الحضارة ذاتها إذا إستطاع تجاوز كبواته ومعوقاته كما تناول موضوع الإسلام كإطار موجه لكل القدرات والتفاعلات والمثل المميزة للإنسان، وكرابطة تقوي علاقة الفرد بربه، وكعلاج للنفس الخاضعة للأوهام والخرافات ومختلف المشكلات النفسية.

[1] عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص 89.

لقد طرح مالك بن نبي فكرة الإنسان كمشكلة حضارية يجب حلها وعلاجها حتى يصبح هذا الإنسان فعالا، بعد أن كرمه الله، وخصه عن سائر مخلوقاته وأوجد له الدين الإسلامي مكانا رفيعا من خلال العناية به، وتوجيهه الوجهة الصحيحة.[1]

فقد جاء الدين الإسلامي ليحرك وعي هذا الإنسان بمخاطبة العقل المتدبر، الذي يربط النتائج بالمقدمات ويحاول إيجاد العلاقات بين الأشياء دون جمود، أو جحود، وهو المشكل الذي وقف عنده ابن نبي مطولا على إعتبار أن الإنسان هو أكبر المشكلات، والإنطلاقة لا تكون إلا من هذا المحور الذي يفرض ضرورة تحريره من كل القيود، وتهيئة الفضاء المناسب المحفز لكل قدراته، والمجسد لخبراته كنتاج لما يحمله من أفكار، وابتكارات وتجارب لأن ثورة التغيير الفعلية تبدأ من النجاح في تحريره. لذلك فإن بعث الروح في هذا الإنسان، وتجديد فكره، ومساعدته على تخطي حواجزه النفسية لتحقيق الوثبة المنتظرة، ورسم الحدود والأهداف المنوطة به، كفيل بإحياء بالمشاريع الكبرى في دواخل هذه الأمة، وتفعيلها من جديد.[2]

فالمنطلق الناجح هو الرغبة في التغيير بإحياء هذه العناصر الكامنة أو الضائعة في متاهات لا قدرة له على تجاوزها، وذلك بإعداد الشروط النفسية والمادية للتاريخ، أي إعداد الإنسان لصنع التاريخ والشروع في تجاوز العقبات التي تقف في وجه كل رغبة في التوثب، والإنبعاثات، بتغيير الإنسان الكاسد فينا ومحاولة إستنفاره وتحسيسه بالخطر الداهم الذي يحيط به، ويتهدده من كل جانب، فالشعور بالخطر أو النهاية من شأنه تحريك الفعل الواعي الباحث عن مخرج للمأزق الواقع فيه، وإذا شعر الإنسان بهذا الخطر، فقد إستعاد قدرته على ترتيب المعطيات والأولويات، وإنتفض مستجمعا إمكانياته وطاقته ورغبته في إثبات نفسه.

[1] بشير ضيف الله، المرجع السابق، ص 102.

[2] بشير ضيف الله المرجع السابق، ص 103.

وذلك لا يكون إلا في إطار جماعي لا فردي قد يؤدي بالفرد إلى نتائج غير محمودة بسبب الأنانية.[1]

فقد نادى الإسلام بضرورة أن يجاهد الإنسان نفسه أولا، قبل الخوض في أي معركة أخرى لأن جهاد النفس أفضل الجهاد والمؤمن القوي هو ذلك الذي يمتلك نفسه ويوجهها، وهو ما تعرض له "مالك" إيمانا منه بالحقيقة الكاملة التي أقرها الإسلام، لأنها تمثل أساس الصلاح الكبير لهذه الأمة.

فالنزعة الاجتماعية ذات الأبعاد المبنية على القيم والمثل العليا، خلق ينفرد بها المجتمع الإسلامي المتكامل، والمنتج بعد سد الثغرات المؤثرة في النسيج الاجتماعي، أيا كان هذا النسيج فالعبرة بالسعي إلى التواصل مع الآخر، والعمل على تحسيسه بوجوده وأهميته، وضرورة أن يصل كل طرف للآخر ويكمله، فالأهداف المعبر عنها واحدة، والرهانات تكتسب بتوحيد القوى والجهود الرامية إلى الانتصار على الظروف الصعبة، وتكسير الجمود الذي خيم على الأمة الإسلامية.

إذن فالإنسان المسلم هو المبشر بخلاص الإنسانية من الماديات، والبدائل الحضارية الهمجية القائمة على أساس مادي شرس، والمهمشة لدور الفرد الذي يقوم عليه أي مشروع نتيجة للنظرة المجحفة والمحتقرة له، بعيدا عن أي محاولة لتكريس التوازن بين ما هو روحي، وما هو مادي حتى يكون التفاعل إيجابيا.

فالحضارة الأوروبية بما حققته من تقدم زائف لا تقوم على فلسفة تمجيد الإنسان روحا وجسدا، وإنما تؤسس فلسفتها على الجانب المادي البحت، حيث يغيب الهامش الكامن في ذات الإنسان بما يفرضه هذا الاتجاه من إجحاف، والحال أن كل القراءات الموضوعية لمرجعيات وأسس هذه الحضارة تتنبأ باندثارها وتلاشيها، فقد ألغت أهم

[1] هدى بن زقوطة، الدور الحضاري للمجتمعات الآسيوية المعاصرة عند مالك بن نبي، بحث متقدم لنيل شهادة ماجستير الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، 2010، ص 15.

مؤشر للنجاح والاستمرارية وهو ذلك الالتحام الروحي والجسدي الذي يسد كل الثغرات ويعطي الصورة المثلى للتكاتف الاجتماعي.[1]

فالحضارة ليست نتاجا ماديا فحسب قائم على الكم المفتت للصلات القوية بين أجزاء المشروع بصفته فضاء قائما على الشمولية، والتناسق، والإنسجام النابع من فلسفة مثلى بمثابة دافع على الاستمرار والتواصل من منطلق الشعور الداخلي بالمسؤولية والرغبة في النجاح، والتفوق التي ترتبط أكثر بالبعد النفسي للإنسان، ومدى ما تلقاه من تكوين وتربية، وإعداد في هذا الإطار.

فمتى ما نجحنا في توجيه تكويننا التربوي، وربطناه بمقوماتنا وتطلعاتنا المؤسسة على معطيات واقعية، ومرجعيات متوازنة وفق مناهج علمية موضوعية تراعي كل خصائصنا من باب مراعاة النجاعة والفاعلية، فإننا قد وضعنا القدم الأولى في مسار الإطلاقة الحضارية المرتقبة بعد مرحلة من الفراغ.[2]

إن القضاء على سلبية الفرد العربي وجموده، وحتى غروره المبني على مجد تولى مرهون بالوعي الكامل لخطورة هذا الموقف، وإجتثاثه من جذوره أمر بالغ التعقيد، ولكنه ممكن إذا درسنا أسبابه دراسة علمية من غير تخمينات، أو إفتراضات واهية، ومن ثمة الشروع في المعركة الأصل وهي الإنتقال من حال إلى حال ومن مرحلة إلى أخرى حتى ينتج إنسانا فعالا، وهو الشروع الحضاري في حد ذاته، يمارس واجباته على أكمل وجه للمطالبة بحقوقه من منظور أنه فرد ضمن خلية لا تقوم لها قائمة إلا إذا أدى كل فرد ما عليه دون تهاون،

[1] بشير ضيف الله، المرجع السابق، ص 106.

[2] هدى بن زقوطة، المرجع السابق، ص 14.

أو تراجع فهكذا يكون الإنسان الذي أراده مالك بن نبي لإحداث القفزة الحضارية الشاملة للأمة العربية والإسلامية على الخصوص والبشرية والإنسانية كافة.[1]

فيلخص مالك بن نبي فكرة الحضارة كما يلي: "فدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل للتاريخ فكرة معينة، أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين على حد قول "كيسرلينج"، كما أنها تنتهي حين تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة أو المكبوحة الجماح، ويضرب ابن نبي المثل بالحضارة الإسلامية التي بلغت أوج ازدهارها بفضل الدفعة الروحية الخارقة التي مثلها الإسلام، واستقر هذا التطور وبقي على حاله إلى عصر بن خلدون، وسيطر على هذه المرحلة العقل ثم سيطرت بعد ذلك الغريزة وبدأ العالم الإسلامي مرحلة الانحطاط، حيث يطلق عليها "مالك" إسم مرحلة ما بعد الموحدين.[2]

المطلب الثاني: اهتمام مالك بن نبي بقضايا وطنه (ثورة التحرير الجزائرية وما بعد الاستقلال)

أولا: ثورة التحرير الجزائرية:

لقد إنطلق مالك بن نبي من عالمين – عالم الأشياء وعالم الافكار – وهذا ما أدى إلى تبينه معادلة الحضارة = الإنسان + التراب + الوقت، ويعتمد في تحليله على الآية القرآنية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" ،"[3] وهو ما يعتبره تحليلا نفسيا للحضارة.

فعن جيل نوفمبر قد ربط عالم الأشياء وعالم الأفكار من خلال الوصول إلى مرحلة "الفعالية" التي تبناها جيل من الشباب، آمنوا بالثورة التحريرية ومبادئها لكنهم نشروا الوعي داخل

[1] بشير ضيف الله، المرجع السابق، ص 107، 108.

[2] عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص 89 – 90.

[3] سورة الرعد، الآية 11.

المجتمع لتبني هذه المبادئ والقيم النوفمبرية، وخير شاهد على ذلك قول الشهيد العربي بن مهيدي: "ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب".[1]

كانت أول حقيقة أكدها المفكر ابن نبي "إذا لم نقم نحن بثورتنا، فإن التغيير سوف يأتي من الخارج، ويفرض علينا فرضا... الثورة عملية هادفة تحاول تغيير أوضاع معينة بطريقة مستعجلة"، فالهدف المرسوم للثورة هو التغيير المرتبط بالأوضاع الاجتماعية والثقافية، فيربط "مالك" الاستعمار بالتعدي على حدود "الأنا"، وعلى "كيانه الإجتماعي والثقافي"، إذ لا يحق لأحد أن ينفذ داخل "أنا غيره"، ويبدو أن مصطلح "احتلال" أنفذ وأعمق لو أستعمل مكان الإستعمار، لأنه يفيد الهيمنة والتسلط، وهذا ما يشير إليه مالك بن نبي حيث يقول: "عندما ينزل جيش أجنبي بأرض شعب، فإن هذا الشعب يكون معرضا ليرى احتلالا مؤقتا في بلاده، وإما عملية ضم تضعه نهائيا تحت سلطة شعب آخر".[2]

ويعطي أمثلة على ذلك من خلال التاريخ، حيث أن المجتمعات المغلوبة تتخلى عن ثقافتها وحضارتها للغالب، وهذا ما يوافق ما ذكره ابن خلدون "إن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في زيه ونحلته وسائر معاشه وأحواله".

وعن الجانب الديني يؤكد "مالك بن نبي" على العلاقة السببية بين الدين والفراغ، حيث كلما قويت العلاقة الدينية كلما قلت درجة الفراغ الاجتماعي، ومن هذا الحديث النبوي الشريف: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"[3] والفكرة الدينية رهن ببعض شروط الجغرافيا الإنسانية، ومثلما وقع للمسيحية حيث هاجرت من فلسطين إلى روما (القرن 4 – 5م) نجد أن الإسلام توسع إلى بقاع الأرض من منطقة شبه الجزيرة العربية، ولم تكن الفكرة

[1] راسمال عبد العزيز، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص 132.

[2] مالك بن نبي، في مهب المعركة، ص 32.

[3] الحديث النبوي الشريف.

الدينية مقصاة من بيان نوفمبر، حيث يؤكد قيام الحركة التحريرية على مبادئ أول نوفمبر الإسلامية.[1]

لذلك تنبه مالك بن نبي أن الاستعمار لا يسلب المستعمر أشياءه بل نفسه أي روحه وعقيدته، فقد زرع الاحتلال الشكوك في ذهنية المفهوم، وهو ما اصطلح عليه بالمعامل الإستعماري، أو "القابلية للإستعمار" حتى ينظر إليه أو يؤمن به على أنه قضاء وقدر، ولكن هذا لا يتم إلا من خلال طرد الإحتلال من عقولنا وأنفسنا، فهو إن تمكن من النفوس بدد الطاقة الاجتماعية عندنا وشتتها على أيدينا، ومن ذلك فلا رجاء في الإستقلال، ولا أمل في الحرية، لكن لابد لثورة التحرير من "نخبة"، وهذه النخبة لكي تنجح لابد أن ترتبط بالقاعدة الاجتماعية، أو ما يسميها "مالك" بخميرة الفطرة البدوية ...

وقد كان المثال الواضح في الثورة الإسلامية التي قادها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فكانت ثورة متنامية حافظت على نفسها وضبطت سلوكها فحماها من المؤثرات الخارجية والمتناقضات الداخلية.[2]

فالإحتلال الذي فرض التمازج الثقافي على فئة من السكان، وأدى إلى تجهيل باقي سكان الجزائر، لم يرفق ذلك بتغيير إجتماعي يرفع المستوى التقني للشعب الجزائري "رغم التعايش" (المحتوم) الذي فاق قرنا من الزمن، حيث تم توجيه الثقافة الأهلية نحو الجانب الأدبي، البلاغي، السردي وإبعادها عن الناحية السياسية، ولذلك ينبغي تجنيب الثورة كل مزالق الانجراف، أي تسريع الثورة فتتحول إلى ثورة مضادة تفجر نفسها من الداخل، أما على مستوى الوعي الثوري فلابد من تغيير الصورة التي ترتبط في مخيلتنا بالآخر (الإحتلال)، والتي لا تصنع الأحكام طبقا لعالم الأفكار، بل طبقا "لعالم الأشخاص". ويعطي مثالا على

[1] راسمال عبد العزيز، المرجع السابق، ص 133.

[2] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، ص 20 – 28.

الأمثلة الإيجابية التي يرفضها المسلم، وهي في حالة الأفكار المنطقية والأمثلة السلبية التي يتلقاها من "عالم الأشخاص" ويقبلها لأنها من جنسه.[1]

والفهم الحقيقي لثورة نوفمبر يلخصها "مالك بن نبي" في قوله: "لا يمكن لنا أن نفهم معنى فاتح نوفمبر 1954 كبعث وتحرير للإنسان إذا غابت عن أذهاننا عملية التلويث التي عاناها الإنسان الجزائري طيلة قرن ونصف".

لا داعي لبذل جهد كبير في توضيح الإيديولوجية البسيطة للثورة الجزائرية التي صاغها الفلاح الجزائري في كلمة "الاستقلال"، ولا داعي للإلتجاء لذهان التعقيد في نسبة هذه الثورة إلى مذهب عقائدي معين، فقد كان شعارها "الله اكبر" وروادها "مجاهدون"، وعدوهم "الكفار" وبإعتبارها نموذجا إسلاميا فإن ذلك لا يسقط عنها أنها نموذجا عالميا لكل حركة تحريرية، وحتى تسمية "جبهة التحرير الوطني" لم تخل من هذا البعد.[2]

وأخيرا نصل إلى الفكرة المحورية للمحافظة على ثورة التحرير المباركة وتجديدها المستمر وهو ألا تكون أداة لخيانتها.

فالمفكر "مالك بن نبي" ينبهنا إلى ان هناك نوعين من خيانة المجتمع:

– نوع يهدم روحه من خلال "الفراغ الإجتماعي" الذي تحدثنا عنه سابقا، وهو هدم المبادئ والأخلاق والروح.

– ونوع يهدم وسائله من خلال الفراغ دائما بتوجيه الملكات المبدعة والفضائل الأخلاقية خارج عالم الوقائع والظواهر.[3]

[1] مالك بن نبي،بين الرشاد والتيه، ص 16.

[2] مالك بن نبي، المصدر نفسه، ص 16.

[3] راسمال عبد العزيز، المرجع السابق، ص 136.

فما أحوجنا اليوم، ونحن نشهد تغييرا حاصلا في جبهة التحرير الوطني أن نتمسك بهذه المبادئ والقيم، ونفكر جديا في مشروع مالك بن نبي "حول علم الاجتماع الخاص بالاستقلال".[1]

ثانيا: ما بعد الاستقلال

إن مالك بن نبي يقوم بمراجعة نقدية لمسيرة التغيير من الثورة إلى الاستقلال، ويقترح الحلول التي في نظره تمكن الأمة من تجاوز عجزها وأزمتها.

وعند تأسيس الدولة بعد الإستقلال، وهو ما أشار إليه مالك بقوله: "إن كل ثورة ملزمة بأن تحمي نفسها من سائر المحاولات التخريبية التي يكون فيها أصحابها سلطة جانبية في وطن ثوري يؤثرون فيه حتى لحساب الخارج، بما في أيديهم من وسائل السلطة، وبعبارة أخرى، فإذا كانت الثورة في حاجة إلى أخلاقية لا تتنازل عن شيء، فمن واجبها أيضا أن تتمتع بحاسة نقدية لا يفوتها شيء حتى لا تؤخذ على غرة في أي لحظة، وفي أي قطاع من أجهزة الدولة..."[2]

وهذا يدل على أن الثورة ليست شيئا مقدسا لا يخضع للمراجعة والنقد، بل الثورة مستمرة بإستمرار العمل البنائي والتغييري، مع ضرورة المراجعة الدائمة لخطواتها ومسيرتها، وتقبل النقد البناء الصريح حتى تستطيع أن تقوم نفسها بنفسها.

فالإستعمار أخطر شيء أبتلي به الشعب الجزائري، والعالم العربي ككل لكن لم تكن الظاهرة الاستعمارية جزافا أو صدفة، بل كانت نتيجة طبيعية للإنحطاط الحضاري الذي عاشته الأمة، ففقدت بذلك كل المقومات الذاتية، وهو ما سماه بن نبي "القابلية للإستعمار" حيث

[1] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 91.

[2] كمال لدرع، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 139.

يقول: "فإن جميع الظروف الإجتماعية التي تحوط الفرد تدل على قابليته للإستعمار، وفي هذه الحالة يصبح الإحتلال الأجنبي إستعمارا، قدرا محتوما".[1]

ليس معنى هذا أن "بن نبي" يعطي للإستعمار، وإنما ينبه على أن الإستعمار كالمرض الذي يصيب جسما فقد مناعته الذاتية، فلو كانت الأمة تتمتع بمناعة حضارية وثقافية لما تمكن المستعمر منها، حتى وإن إحتلها عسكريا فسرعان ما تستعيد قوتها، كما حدث ذلك للخلافة العباسية بعد إجتياح التتار للعالم الإسلامي، وكما حدث أيضا لألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية، حيث إستعادتا قوتهما بعد الحرب مباشرة.[2]

إن هزيمتنا أمام الإستعمار لم تكن فقط هزيمة سياسية أو عسكرية فحسب، بل كانت في عمقها هزيمة حضارية أمام القيم الغربية، فكان من الواجب العمل على تصفية الإستعمار من العقول والنفوس التي عشعش فيها الإستعمار ما يزيد عن قرن من الزمن، فليس من السهل أن نمحو آثاره بمجرد طرده من الأرض، لذلك يقول "مالك" منبها إلى أهمية هذه العملية: "أمام ضرورة ملحة، ألا وهي تصفية الإستعمار من العقول قبل كل شيء، فتصفية الإستعمار من العقول تتطلب أشياء كثيرة يتضمنها مفهوم الثقافة، ومفهوم الحضارة، فهي لا تتحقق بمجرد إنسحاب جيوش الاستعمار، ومجرد إعلان الاستقلال، وتحرير دستور كما هو الأمر بالنسبة للتراب الوطني".[3]

فهدف الثورة ليس فقط إخراج الجيوش من الأرض بقوة السلاح، بل يجب القيام بعمل أعمق هو نسف كل مخلفات الإستعمار، وبناء علاقات إجتماعية متينة، وثقافة جدية، وقد تبين من خلال التجارب الحديثة أن الاستعمار الثقافي والإقتصادي لا يقل خطورة عن الإستعمار المسلح، وهذا ما يفسر أن الكثير من الدول المستقلة عانت مشاكل متعددة بعد استقلالها.[4]

---

[1] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 85.

[2] كمال لدرع، المرجع السابق، ص 110.

[3] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، ص 33.

[4] كمال لدرع، المرجع السابق، ص 111.

خـــاتمة

خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة المتواضعة لشخصية "مالك بن نبي" ومنجزاته الفكرية التي أنارت طرق الكثيرين باعتبارها مرجعا للكثير من الدراسات الحديثة، تمكنت من التوصل إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

أن مالك بن نبي رغم شخصيته الفذة في العالم الفكري والثقافي إلا أنه لا يزال مجهولا ولم يوف حقه من التعريف والاهتمام من أبناء وطنه، حيث أن أفكاره و رغم نجاعتها و استفادة بعض الدول منها كدولة ماليزيا إلا أنه مع الأسف لم توفق الجزائر في تطبيقها على أرض الواقع مع الوضع الراهن و ذلك لعدم الاهتمام الحقيقي بالجانب العلمي و المفكرين و العلماء أمثال مالك بن نبي إذ بقيت أفكاره حول الحضارة و النهضة و الثقافة و الاستعمار...حبيسة الأوراق و دراسات متواضعة من رسائل جامعية و ملتقيات أو ندوات، مقارنة بضخامة شخصية المفكر.

تعد مجموعة معتبرة من أعمال مالك بن نبي الفكرية كمخطوطات أو مطبوعات أو حتى أعمال مسموعة لا تزال غير مجمعة كمؤلفات رسمية كما أن الملاحظ على مؤلفاته أن مشكلة الحضارة و كيفية معالجتها أخذت النصيب الأوفر منها على اعتبار أنها أهم مشكلة يعانيها العالم العربي و الإسلامي على غرار الجزائر وطنه الأم.

مالك بن نبي ليس كاتبا لغرض الكتابة يختار اللفظة لإمتاع أسماع القراء، إنما كاتب مفكر ذو منهج علمي يخاطب العقل غير مركز على الجانب الجمالي للكلمة بقدر تركيزه على الجانب العلمي والمقصد منه حيث أن الدليل على عقلانيته و عبقريته هو تنبؤه بالأوضاع الراهنة لوطنه و العالمين العربي و الإسلامي ككل و تحليلها ووضع الحلول المناسبة لها.

تركيز مالك بن نبي على الإنسان المسلم للنهوض بالأمة الإسلامية إلى خير الأوضاع لم يكن عبثا، إنما إيمانا منه أن الملاذ الوحيد للأمة الإسلامية لاستعادة حضارتها هو القرآن الكريم كدستور دقيق لا مجال للخطأ بين ثناياه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1.القرآن الكريم.الآية 11 سورة الرعد

2.الحديث النبوي الشريف.

3.مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 2000م.

4.مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، 1981م.

5.مالك بن نبي، العفن، مذكرات، الجزء الأول (1932 – 1940م)، ترجمة: نور الدين خندودي، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007م.

6.مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

7.مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الفكر، دمشق، 2000م.

8.مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الرشاد، بيروت، 1969م.

9.مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

10. مالك بن نبي، تأملات، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

11. مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط1، دار الفكر، دمشق، 1991م.

12. مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ترجمة: زيدان خويلف، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009م.

13. مالك بن نبي، مجالس دمشق، ط1، دار الفكر، دمشق، 2006م.

14. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984م.

15. مالك بن نبي، من اجل التغيير.

16. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 2001م.

17. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة واحمد شعبو، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

18. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الجزء الأول، دار الفكر، دمشق، 1981م.

19. مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 2001م.

20. مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة: الطيب برغوث، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000م.

21. مالك بن نبي، في مهب المعركة، ط3، دار الفكر، دمشق، 2002م.

22. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986م.

23. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

ثانيا: المراجع:

1.احمد بن ناسي، المدخل إلى فكر مالك بن نبي، الجاحظية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006م.

2.بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004م.

3.بن إبراهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة، دار منى، 2002م.

4.راسمال عبد العزيز، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

5.زكي أحمد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأولى.

6.عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، مؤسسة عالم الأفكار، المحمدية، الجزائر.

7.كمال لدرع، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

8.موسى لحرش، إستراتيجية إستئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، المطبعة الجهوية، قسنطينة، 2006م.

9.موسى لحرش، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

10. مولود عويمر، مالك بن نبي رجال الحضارة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر.2

11. ميلود زنكري ومومني إسماعيل، الأبعاد الحضارية والفنية للنظرية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م.

12. نور الدين بوكروح، مالك بن نبي، فكره واعماله، منشورات المجلس الإسلامي الاعلى، الطبعة الثانية، الجزائر، 2006.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1.أحمد عمار محمد، صراع الحضارات والقابلية للاستعمار في كتابات مالك بن نبي، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2014.

2.الطاهر ابرير وقويدر بوسويلف، مالك بن نبي رجل فكر وإصلاح (1905 – 1973)، مذكرة ليسانس في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2012 – 2013م.

3.عمر بن سليمان، البعد الحداثي في فكر مالك بن نبي، مذكرة ماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2008 – 2009م.

4.لويزة لعميري، نظرية الثقافة عند مالك بن نبي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014.

5.هدى بن زقوطة، الدور الحضاري للمجتمعات الآسيوية المعاصرة عند مالك بن نبي، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، 2010م.

6.ياسين عطوي، المفكر مالك بن نبي، حياته وأعماله (1905 – 1973م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة (محمد بوضياف)، 2015 – 2016م.

مـــلاحق

الملحق رقم 1:

الملحق رقم 2:

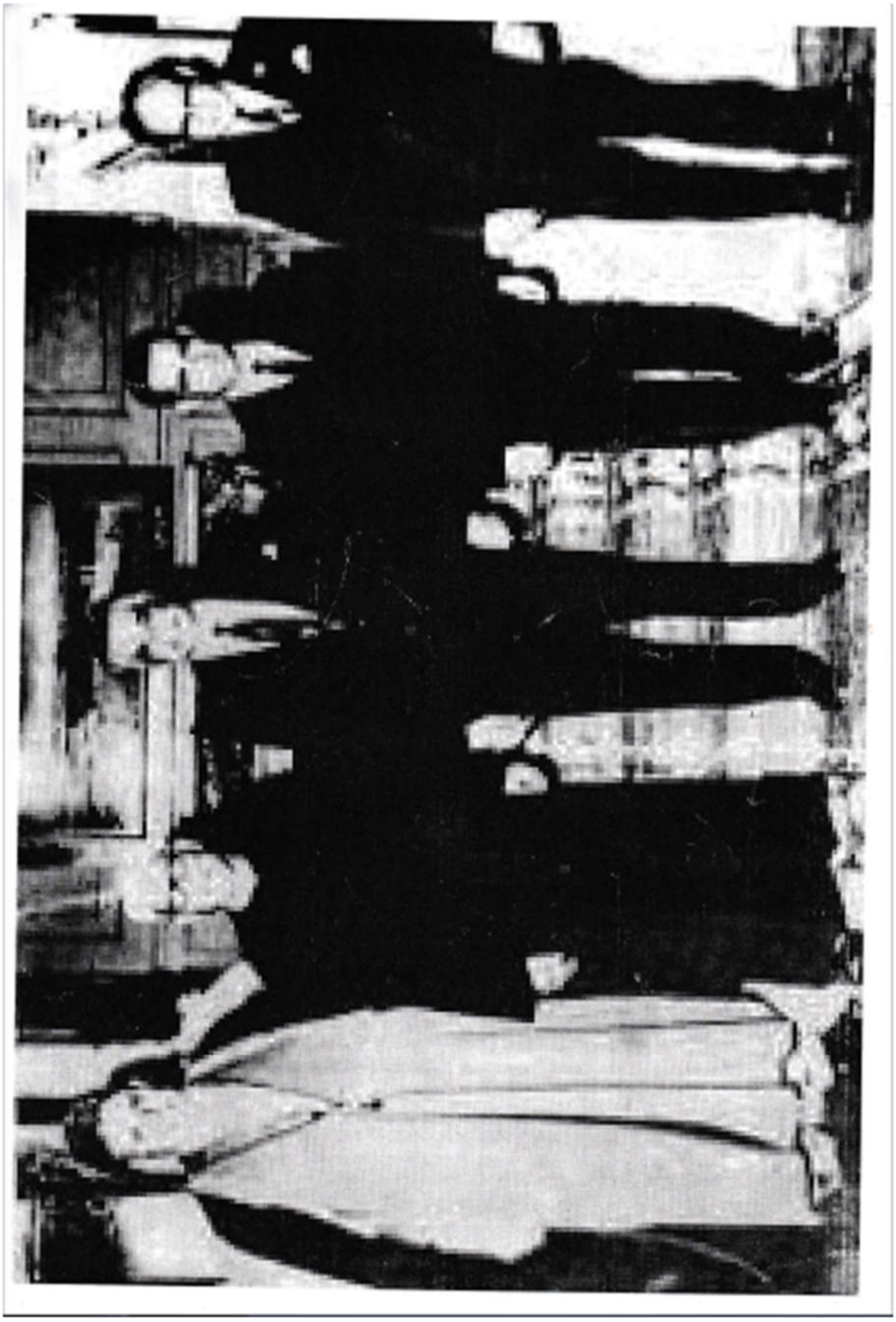

الملحق رقم 3:

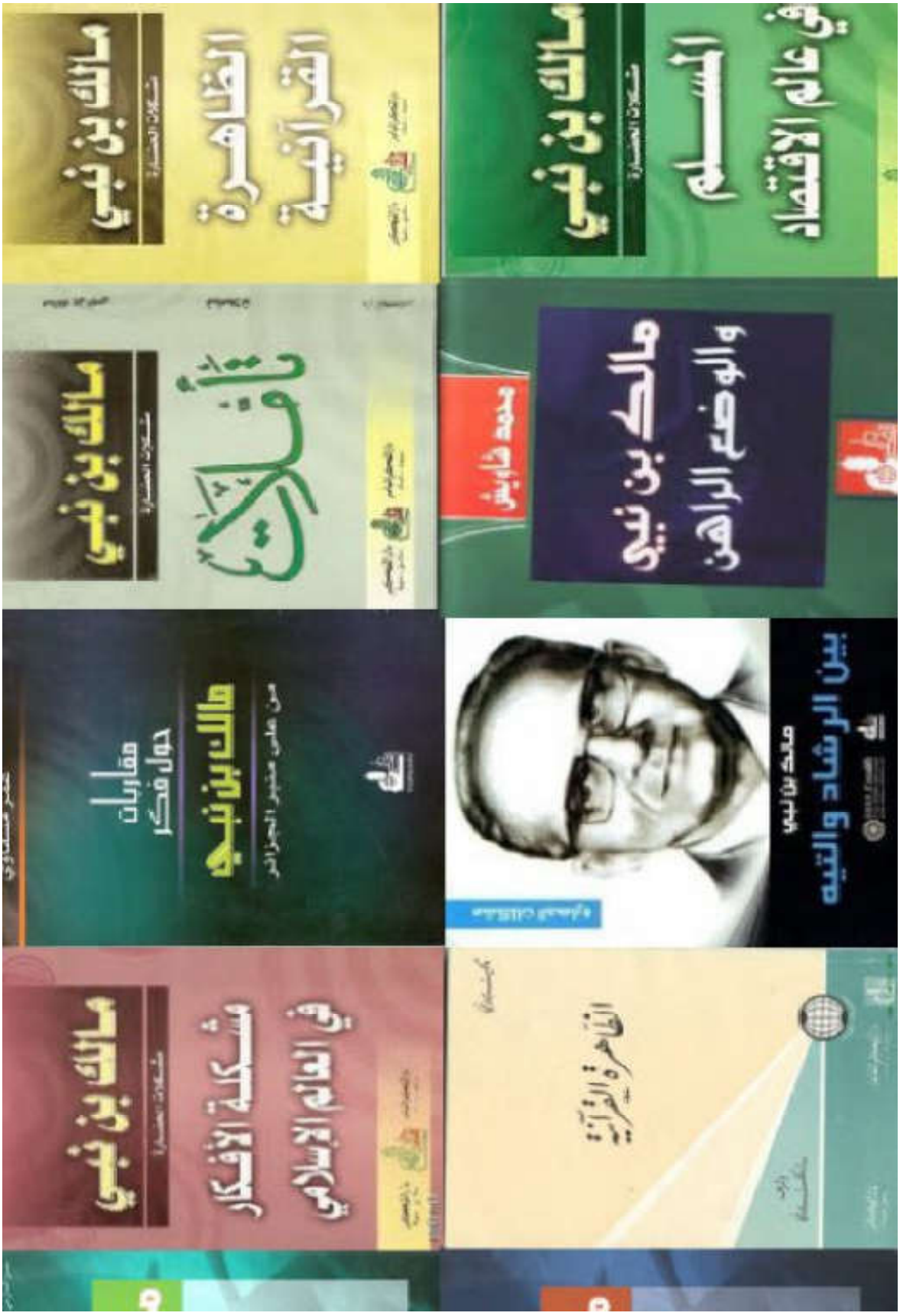
مالك بن نبي
الظاهرة القرآنية
مالك بن نبي
تأملات
مالك بن نبي
مقاربات حول فكر
مالك بن نبي
من أعلام مفكري الجزائر
مالك بن نبي
مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي
مالك بن نبي
المسلم في عالم الاقتصاد
مالك بن نبي
والوضع الراهن
محمد طاوبش
مالك بن نبي
بين الرشاد والتيه
الظاهرة القرآنية

الملحق رقم 4:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات وللسائل المرتبطة بالطلبة

Université Mohammed Boudiaf M'sila
Faculté des sciences humaines et sociales
هاتف : 035353044
المسيلة في ::

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي ادناه:

السيد :مبارك عزام فاتح.. الصفة : "طالب/استاذ باحث/باحث دائم"....طالب.

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم:.10468o173.. والصادرة بتاريخ:.2017/05/19.

والمسجل بكلية :العلوم الإنسانية و الإجتماعية.قسم...التاريخ.....

والمكلف بإنجاز اعمال بحث " مذكرة تخرج/مذكرة ماستر/مذكرة ماجستير/اطروحة دكتوراه"عنوانها:...مالك بن نبي..مسيرته و..عطاؤه..الفكري.....

.....

اصرح بشرفي انني التزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه.

التاريخ.....09 ديسمبر 2019.....

توقيع المعني

تصديق الامضاء بالمطابقة على توقيع السيد: فاتح مبارك عزام
الذي يحمل بطاقة التعريف الوطنية رقم: 104680173
حرر بالمسيلة في 09 ديسمبر 2019
رئيس المجلس الشعبي البلدي

المرجع :القرار الوزاري رقم933 المؤرخ في:28جويلية2016.

فهرس
الموضوعات

شكر وتقدير.....

إهداء.....

مقدمة.....(أ – ج)

الفصل الأول: أضواء على شخصية مالك بن نبي 05

المبحث الأول: المولد والنشأة.....06

المطلب الأول: المولد والنشأة الأولى (1905 – 1911) 06

المطلب الثاني: ظروف التعلم.....09

المبحث الثاني: هجرات مالك بن نبي 19

المطلب الاول: الهجرة إلى فرنسا.....19

المطلب الثاني: الهجرة إلى العالم العربي.....21

الفصل الثاني: الإنتاج الفكري لمالك بن نبي، والاهتمام بقضايا عصره السمة البارزة في كتاباته.....27

المبحث الأول: مصادر إشعاعه الفكري.....28

المطلب الأول: الثقافة العربية الإسلامية.....28

المطلب الثاني: الثقافة الغربية.....29

المبحث الثاني: آثاره.....32

المطلب الأول: مؤلفاته.....32

أولا: مؤلفاته المطبوعة.....32

ثانيا: مؤلفاته المخطوطة والمسجلة.....38

المطلب الثاني: مكانة بن نبي في الوسط الفكري.....38

المبحث الثالث: الاهتمام بقضايا عصره السمة البارزة في كتابات مالك بن نبي.....42

المطلب الأول: اهتمام مالك بن نبي بقضايا أمته (مشكلة الحضارة).....42

المطلب الثاني: اهتمام مالك بن نبي بقضايا وطنه (ثورة التحرير الجزائرية وما بعد الاستقلال).....46

أولا: ثورة التحرير الجزائرية.....46

ثانيا: ما بعد الاستقلال.....50

خاتمة.....54

قائمة المصادر والمراجع.....57

الملاحق.....63

فهرس الموضوعات.....